أُحِبُّـــك ربِّـــي

اسم الكتاب: أُحِبّك ربّي

التأليف: حسام عبد العزيز

إخراج فني: سالم عبدالمعز سواح

رقم الإيداع: 27761 /2023

الترقيم الدولي: 978-977-835-390-7

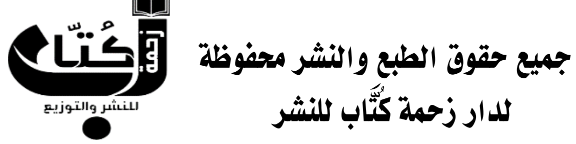
الناشر: دار زحمة كُتّاب للنشر والتوزيع

٤ ش بديع خيري متفرع من ش عبد الحميد بدوي خلف كنتاكي نادي الشمس مصر الجديدة - مصر.

دار زحمة كتاب للنشر Facebook

za7ma.kotab@gmail.com Email

Tel 002 01205100596
002 01100662595





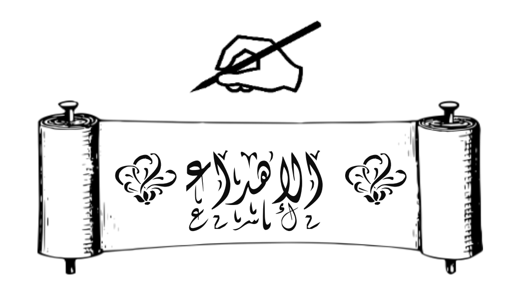
أُحِبُّــــك ربِّـــي

فوحْدَك.. مهما أخطأتُ ومهما أذنبتُ
دَومًا بابُك لي مفتوح



اقترب لتعرفه.. فإذا عرفته ستحبه
وسيطمئن قلبك به

حسام عبد العزيز



إلى أولئك الذين تلاعب الشيطان بعقولهم
فتزعزع الإيمان بالله وبقدرته في قلوبهم
وتسلّلت إلى داخلهم الوساوس حول ربهم

إليكم أكتب هذا الكتاب
علّه يضبط اتّجاه بوصلة قلوبكم تجاه ربكم



المقدمة

نعيش في هذه الدنيا نصارع ونواجه أهوالًا وأحداثًا وكوارثَ، ونشاهد الباطل ينتصر على الحق، والظالمين يتجبرون ويقهرون ويسجنون ويقتلون الناس دون وجه حق، والآلاف يموتون في الحروب من أطفال ونساء وشباب وشيوخ دون أن يقترفوا أيّ ذنب، فيأتي الشيطان الذي يجري من الإنسان مجرى الدم في العروق ويوسوس له قائلًا: أين الله مما يحدث؟

قد يحدث هذا لكثير منا في لحظةٍ ما، وهي لحظة قد تسوق الإنسان إلى الكفر بالله أو إلى زعزعة الإيمان في قلبه فيعبد الله على حرف دون ثبات أو توازن، يعبد الله وهو على شك في عبادته.

هذه اللحظة قد تودي بالإنسان إلى هلاك دنياه وآخرته. ولا ينجو منها ومن ذلك الاختبار العظيم إلا من عرف ربه حق المعرفة، عرف أسماءه وصفاته وحكمته في تدبير شؤون خلقه، عرف قوانينه التي تسري بها الحياة على كوكب الأرض وخارجه في ذلك الكون الفسيح المترامي الأطراف.

وهذا الكتاب ما هو إلا محاولة للتعرف على الله سبحانه وتعالى عن قرب بطريقة أعمق وأوضح من خلال التعرف على أسمائه وصفاته وفهم حكمته في الخير والشر الذي قد نراه في العالم، وتأكد أنك إذا عرفته حق المعرفة ستحبه كما أُحبه، وسيطمئن قلبك به كما يطمئن قلبي به، وسيزداد يقينك به وبقَدره وبقضائه وحكمته في تدبير شؤون خلقه وشؤون كونه من كواكب ونجوم ومجرات. ولا تظنَّ أن هذا الحب سيعصمك من الخطأ أو الذنوب؛ فمَثلى ومَثلُك كالصحابي الذي كان يأتي المسجد للصلاة دون أن يترك الذنوب التي يعرفها عنه الصحابة رضي الله عنهم وذات يوم عنّفوه ووبّخوه فقال لهم النبي ﷺ: "لا تكونوا عونًا للشيطان على أخيكم؛ فوالله إني أعلم أنه يحب الله ورسوله".

إذن فحب الله لن يجعلنا معصومين، ولكنه سيجعلنا مطمئنين به، مستمسكين بحبله، قريبين منه سبحانه وتعالى، نذنب ونتوب، نبتعد قليلًا ونعود إليه، نعصي ونستغفر، نكون عبادًا ربانيين، قريبين من صفات الصحابة رضي الله عنهم الذين شكوا للنبي تقصيرهم وانشغالهم تارة بأمور دنياهم، وتارة باللهو المباح وغفلتهم بعض الوقت عن ذكر الله، فقال لهم النبي ﷺ كما في صحيح مسلم:

" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لهمْ ".

وسنستلهم من خلال التعرف على الله كيف نحيا بأسمائه وصفاته ونستقي منها ما يُصلح دُنيانا من أفكار وسلوك ومهارات تجعل حياتنا أجمل، وتفكيرنا أرقى، وطموحنا أعلى، وقلوبنا أكثر طمأنينة، وأرواحنا أكثر استقرارًا واتصالًا به سبحانه.

أسأل الله التوفيق والسداد والعون لكي يجعلني سببًا في تعرُّفك عليه وحُبِّك له سبحانه وتعالى؛ فعلينا النداء وعليه البلاغ، وعلينا السعي وعليه الهداية، ولا حول ولا قوة إلا به.

حسام عبد العزيز



أُحِبُّك ربي.. لأنك رحيم

فرَضَ وتعهَّدَ وكتب ربي على نفسه الرحمة
وهو القوي العزيز الذي لا يستطيع أحدٌ
في الأرض ولا في السماء أن يفرض عليه شيئًا.
وعد ربي كل مخطئٍ ومذنبٍ وغافلٍ
مهما كبُر ذنبه ومهما طال غيابه عنه
بالعفو والمغفرة والرحمة إذا عاد إليه تائبا.
سبحانه جعل مِن أجَلِّ صفاته الرحمة
فبها يُحسن إلينا بما يُسعدنا ويُصلح أحوالنا.
سبحانه قال في كتابه الكريم:

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥٤﴾

[الأنعام: ٥٤]

فكيف لا أحبه؟!!
وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

ولأنه رحيم

يجُود بعفوهِ وكرمهِ على جميع مخلوقاته

يرزقُ برحمته مَن يؤمن به ومَن لا يؤمن به

يحفظُ مَن يُطيعه ومَن يعصيه وهو عليهم قادر

ولا يربط رحمته بهم بطاعتهم أو عبادتهم له

رحِمنا في بطون أمهاتِنا وفي المهد وفي الصبا

ولم نكن بَعْدُ قد أَصَبْنا شيئًا من الطاعة أو العبادة.

سبحانه جل في علاه.. فرحمته وسعت كل شيء

وسعت الإنسان والحيوان والطير والنبات والجماد

ورحمته أسبق لعباده من الغضب عليهم.

قال عز وجل في كتابه:

﴿ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ﴾

[الأعراف: ١٥٦]

وجاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال:

" إنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتابًا قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ: إنَّ رَحْمَتي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهو مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ "

فكيف لا أحبه؟!

وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

ولأنه رحيم

أرسل إلينا سيد الخلق وأحبَّهم إليه محمدًا ﷺ
وقذف في قلبه من لدنه رحمة وحنانا
وأمره أن يدعو إلى سبيله وهداه
بحكمةٍ ورفقٍ وموعظةٍ حسنة
وإن طلب الناس منه نقاشًا أو جادلوه
فلا يناقشهم إلا باللين وحسن الخطاب
فكان ﷺ هينًا لينًا سهلًا مع الناس،
وكان بالمؤمنين رؤوفًا رحيما.
سبحانه قال في كتابه:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ ﴾

[آل عمران: ١٥٩]

وقال أيضًا:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ ﴾

[النحل: ١٢٥]

فكيف لا أحبه؟!
وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

ولأنه رحيم

ارتبط اسمان من أسمائه بالرحمة

فسبحانه هو الرحمن، وهو الرحيم؛

فاسم (الرحمن) يدل على سعة رحمته،

واسم (الرحيم) يدل على إيصال رحمتهِ لخلقه.

خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة

أنزل إلى الأرض منها رحمة واحدة

فبها نتراحم جميعًا، بشرًا وطيورًا وحيواناتٍ،

وبها نعطف على أولادنا وعلى مَن نحب

وبها تعطف الوحوش الكاسرة على أولادِها

وأخّر عنده عز وجل تسعًا وتسعين رحمة

ليرحمنا بها جميعًا يوم القيامة

قال ﷺ:

" إنَّ اللَّهَ خلقَ الرَّحمةَ يومَ خلقَها مائةَ رحمةٍ، أنزلَ منْها رحمةً واحدةً؛ فبِها يتراحمُ الخلقُ حتى إنَّ الدَّابَّةَ لَتَرفعُ حافرَها عن ولدِها مِن تلكَ الرَّحمةِ، واحتبسَ عندَهُ تسعًا وتسعينَ رحمةً، فإذا كانَ يومُ القيامةِ جمعَ هذِهِ إلى تلكَ فرحِمَ بِها عبادَهُ "

فكيف لا أحبه؟!

وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

ولأنه رحيم

تولى أمرنا ونحن أجنّةٌ في بطون أمهاتنا

ثم قذف الرحمة في قلوبهن ونحن رُضَّع

ليضمن لنا رعايةً وحنانًا برحمة منه

وسهّل أسباب الرزق لوالدينا

لقضاء حاجتنا من المأكل والمشرب والملبس

منحنا حق اللهو واللعب دون تكليف أو حساب

فلا تكليف ولا مُحرمات على مَن لم يبلغ سن الحُلم.

قال ﷺ:

" رُفِع القلمُ عنْ ثلاثةٍ: عنِ الصغيرِ حتى يبلُغَ، وعَنِ النائمِ حتى يستيقظَ، وعنِ المصابِ حتى يُكشفَ عنهُ ".

بل أمر الكبار بالعطف علينا ونحن صغار

وأوحى إلى النبي الذي لا ينطق عن الهوى فقال ﷺ:

" ليسَ منَّا من لم يرحَم صغيرَنا، ويعرِفْ شرفَ كبيرِنا "

فكيف لا أحبه؟!

وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

ولأنه رحيم

يحبُّ الرحمة، ويرحم الرحماء من عباده

مهما كَبُرت ذنوبهم وتعاظمت خطاياهم.

جاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال:

" بيْنَما كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِن بَغايا بَنِي إسْرائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَها فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لها بهِ "

لقد رحم الله المرأة البغي وهي الزانية المجاهرة بالفجور

وغفر لها ذنوبها وأدخلها الجنة

لأنها رحيمة سقت كلبًا كاد يموت من العطش.

فكيف رحمته بمن يرحم الناس؟!

وكيف رحمته بعباده الصالحين

وهو الذي وسعت رحمته كل شيء؟!

سبحانه جل في علاه.

فكيف لا أحبه؟!

وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

ومن خصائص رحمته التي وسعت كل شيء
وسبقت غضبه سبحانه وتعالى أنها تتجاوز الأجيال
فلا تقتصر رحمة الله على المؤمنين فقط
بل تشمل ذرياتهم من بعدهم جيلًا بعد جيل
تكريمًا لهم ورحمة منه سبحانه.

قال تعالى في نبأ سيدنا موسى والخضر:
﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الكهف: ٨٢]

قال أحد المفسرين: إن هذين اليتيمين كان بينهما وبين ذلك الأب الصالح سبعة آباء، ورغم ذلك حفظ الله لهما كنزهما رحمةً منه وفضلا.

ومن خصائص رحمته أيضا أنها غير مقصورة على مكان دون آخر؛ فأينما نَكُنْ تَكُنْ رحمته حاضرة وحافظة ومصاحبة لنا،
سواء كنا نسعى في الأرض أو نحلّق في السماء،

وحتى داخل كهوف الجبال لا تتخلف رحمته عن عباده.
قال تعالى للفتية الذين آمنوا بربهم فزادهم هدًى:
﴿ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الكهف: ١٦]

ومن آثار رحمته عز وجل أن الشمس تحافظ على بُعدٍ ثابت من الأرض يضمن لنا قدْرًا ثابتًا من الحرارة
لا يزيد فتقتلنا الحرارة، ولا ينقص فتقتلنا البرودة.

ومن آثار رحمته الهواء الذي يحيط بنا يحوي نسبة الأكسجين اللازمة لعملية التنفس واستمرار حياتنا دون زيادة أو نقصان
ويحوي خصائص تُمكّن الطيور أن تسبح في سمائه
وتُمكّن الطائرات من أن تحلق خلاله.

ومن آثار رحمته الماء الذي نشربه في بيوتنا عذبًا دون عناء
وكيفية نزوله من السماء بقدر يكفي جميع الكائنات الحية
وكيف يتكون المطر من تبخر مياه البحار والمحيطات المالحة
ثم تُكوُّن السحب، ثم تنتقل تلك السحُب بواسطة الرياح إلى الأرض التي تحتاجُها، ثم ينزل الماء عذبًا بقدر يكفي الأرض الجدباء لكي تحيا وتُنبت ما تتغذى عليه الكائنات الحية في هذا المكان دون سعي منها أو عناء أو مشقة، ويكفي مجاري الأنهار لكي تمتلئ، ثم

ينتقل داخل شبكة من الأنابيب حتى بيتك لكي تشربه نقيًّا في سهولة ويسر.

قال سبحانه:

﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٥٠ ﴾ [الروم: ٥٠]

ومن آثار رحمته عز وجل تدرُّج دخول الليل على النهار من خلال الغروب، وتدرُّج دخول النهار على الليل من خلال الشروق.

تخيل كمَّ الخوف والوحشة والفزع الذي كنا سنشعر به إذا أظلم الليل فجأة وصار النهار ليلًا، أو إذا أتى شعاع الشمس المحْرقة فجأة وتحول الليل نهارًا في لمح البصر، أو جعل سبحانه اليوم كله ليلًا أو كله نهارًا، فكيف كنا سنخلُدُ إلى أنفسنا وننام ونرتاح في ضجيج هذا النهار.

إنها لرحمات منه عز وجل، ولكننا لا نشعر بعظمتها وقيمتها. قال تعالى:

﴿ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ [القصص: ٧٣]

ومن آثار رحمته عز وجل أنه لم يجعل أساسيات الحياة كالماء والهواء بيد البشر، بل تكفل بهما سبحانه وتعالى، فلا أحد يستطيع أن يمنع المطر، ولا أحد يستطيع أن يمنع الهواء عن الإنسان والحيوان والنبات.

قال تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ﴾

[الشورى: ٢٨]

ومن آثار رحمته أن غرس حبنا منذ ولادتنا في قلوب آبائنا وأمهاتنا وأجدادنا وجداتنا وأعمامنا وعماتنا وأخوالنا وخالاتنا، واشتق للمكان الذي تبدأ فيه حياتنا الأولى اسمًا من الرحمة فكان الرَّحِم.

وجعل بين الزوجين رحمة وأُلفة ومودة منه سبحانه؛ لتستمر الحياة بينهما، قال تعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١]

ومن رحمته أنه لا يحاسبنا سبحانه بمقدار أخطائنا وتقصيرنا، بل يحاسبنا برحمته مهما بلغت ذنوبنا.

قال عز وجل:

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ ﴾ [الكهف: ٥٨]

فكيف لا أحبه؟!
وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

رحمة الله في الحروب والكوارث

قد يقول قائل: فأين رحمة الله بمن يُقتَلون في الحروب والكوارث الطبيعية بغير ذنب من أطفال ونساء وشيوخ؟! وأين رحمته بالمرضى الذين يُعذَّبون ليلَ نهارَ من الألم ومنهم أطفال لم يأثموا حتى يكون المرض تكفيرًا لذنوبهم؟!

والإجابة أن رحمة الله -كما ذكرنا- واضحة ساطعة جلية لكل ذي عقل وكل ذي بصيرة، ولكن الله سبحانه وتعالى الرحيم قد أرسى سننًا وقوانين في هذه الحياة، تسري على المؤمن به وغير المؤمن، تسري على من يقبلها ومن يرفضها.

ومن هذه السنن الكونية: الموت الذي كتبه الله على جميع مخلوقاته، فكل إنسان مهما طال عمره ومهما حافظ على صحته واتَّبع حِمْيات صحية وغذائية، فلا بد له يومًا أن يموت وأن يتجرع ذلك الكأس الذي كتبه الله على الجميع.

ومِن سنن الله تعالى الابتلاء؛ فقد كتب الله على عباده الابتلاء لكي يختبرهم ويمحصهم ويكشف عما في قلوبهم، وحتى يتباين الناس فيُعرف الصادق من الكاذب، والصديق من العدو، والأمين والخائن، والصابر والجازع.

إن الابتلاء قد يكون بالخير، بزيادة المال والبنين والرخاء والأمن والصحة والعافية؛ ليتبين الشاكر من الجاحد، والكريم من البخيل.

وقد يكون بالشر، بالموت أو المرض أو الكوارث الطبيعية أو الحروب التي يهلك فيها الكبير والصغير والشيخ والطفل والنساء؛ ليتبين الصابر من الجازع، والناصر من الخاذل، والمتعاطف من الفاجر، والصديق من العدو.

فالخير ابتلاء كما أن الشر ابتلاء من الله الذي سنعود إليه يومًا ما؛ ليحاسبنا على سلوكنا ومشاعرنا ومواقفنا تجاه كل ابتلاء تعرضنا له في حياتنا.

قال تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ٣٥ ﴾ [الأنبياء: ٣٥]

لقد كتب الله على جميع مخلوقاته الفناء، وكما أن لحياة كل منا نقطة بداية، كذلك لها نقطة نهاية، وما بين هاتين النقطتين نتعرض لرحمة الله الواسعة التي لا يُنكرها إلا فاقد وعي أو جاحد، وكذلك نتعرض لابتلاءات يختبر الله بها إيمان كل منا وصبْره كأفراد بموت عزيز أو مرض شديد أو نقص من الأموال.

وأحيانا يكون الابتلاء للمسلمين كافة، كالحروب والكوارث؛ ليتبين من ناصَرَ ومَن خَذل، من تعاطف ومَن فَجَر، ولكي تُفيق الأمة الإسلامية من غفلتها، وتدرك بواعث القوة والنهضة، وتعلم أنصارها مِن أعدائها.

إن المسلمين مطالبون بدفع السُّنّة الكونية كالابتلاء بالحرب أو الزلازل والبراكين بالسنة الشرعية، وهي الأخذ بالأسباب لمنع حدوث الابتلاء، كمثال امتلاك أسباب القوة كي لا يتجبر أحد على المسلمين ويَقتل أبناءهم كما حدث مرارًا عبر التاريخ وكما يفعل الكيان المحتل في فلسطين تجاه إخواننا ويقتل الآلاف من الأطفال والنساء والشيوخ منذ عام ١٩٤٨ م حتى الآن، لأنه ومن يسانده في الغرب لم يجدوا فينا البأس والقوة التي تردعهم عن قتل وارتكاب المجازر تجاه إخواننا في فلسطين.

ومطالبون كذلك بطلب العلم لتحديد أماكن نشاط الزلازل والبراكين كما تفعل دولة اليابان التي باتت لا تتأثر بالزلازل ولا يصيبها كوارث جراء حدوثها؛ لأنها تصمم المنازل بطريقة تقاوم الزلازل.

وكذلك دراسة الأرصاد والتنبؤ بالأمطار والسيول لدفع تلك السنن الكونية وتجنب الإيذاء منها.

تمامًا كما فعل سيدنا عمر بن الخطاب حين كان ذاهبًا إلى الشام فقيل له: إنه قد ظهر مرض الطاعون في الشام، فأشار على الصحابة بالعودة إلى المدينة، فقال له الصحابة: "يا أمير المؤمنين، أتفر من قدر الله؟!" فقال لهم الفاروق الذي كان يفهم مراد الله بفطنته وقوة إيمانه:

" أفر من قدر الله إلى قدر الله ".

فعدم الذهاب إلى حيث ظهر الطاعون هذا هو الإرادة والسنة الشرعية، حيث قال تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥]

أما قدوم الطاعون فهو الإرادة والسنة الكونية التي هي تحت مظلة "كن فيكون" التي نتقبلها ونرضى بها، ولكن نسعى لردِّها وتجنبها.

وسنن الله في الكون لا تحابي ولا تجامل أحدًا؛ فهي تسري على الجميع، فمن يأخذ بأسباب القوة سينتصر سواءً أكان مؤمنًا بالله أم كافرًا به، مسلمًا كان أو نصرانيًّا أو يهوديًّا أو ملحدًا.

تذكر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:

" يَكونُ في آخِرِ هذِهِ الأمَّةِ خَسفٌ ومَسخٌ وقَذفٌ، قالَت: قُلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وفينا الصَّالحونَ؟ قالَ: نعَمْ، إذا ظَهَرَ الخبَثُ"

أي إذا ظهرت في هذه الأمة بعض المعاصي والآثام، فإن الله عز وجل يعاقبها ببعض ما عاقب به الأمم الهالكة زجرًا لتلك الأمة أن تأخذ طريق العصيان.

ومعنى "يكون في آخر هذه الأمة خسف"، الهبوط الذي يقع بجزء من الأرض

ومعنى "ومسخ"، تحويل الصورة وتبديلها إلى أقبح منها، كما مُسخت بنو إسرائيل قردة وخنازير؛ قيل: والمراد بالمسخ هنا على ظاهره لمن أراد الله أن يعجل له العقوبة في الدنيا

ومعنى "وقذف"، الرمي بالحجارة كما حدث لقوم لوط

ومعنى " إذا ظهر الخبث " إذا كثُر الفسوق والفجور والمعاصي، والمعنى: أن يكثر أهل الفساد على أهل الصلاح.

إن رحمة الله تعالى نستشعرها أحيانًا حين يحدث لنا بلاءٌ فنحزن ويصيبنا الهم ثم نكتشف بعد حين أن هذا البلاء كان ضروريًّا لدرْء بلاءٍ أكبر منه؛ كمن يذهب إلى الطبيب يشتكي البرد فيطلب منه الطبيب تحاليل للدم، فيكتشف أنه مصاب بمرض خطير وعليه البدء فورًا في العلاج، أو أن هناك ضرورة لتدخل جراحى، فيحزن هذا الشخص ويتألم ويغتمّ ويجزع، ثم بعد شفائه من ذاك المرض، يكتشف أن من رحمة الله به أنْ كشف له هذا المرض في بداياته، فكان الشفاء منه أسهل وأيسر وأقل تعقيدًا مما إذا لم يكتشفه في ذلك الوقت.

فالمرض ابتلاء، والموت ابتلاء، والفقر ابتلاء، والصبر على البلاء من أكثر الطاعات التي يحبها الله ويبشر صاحبها بجزيل الفضل والنعم، وذاك الصبر إنما هو الذي يكون عند الصدمة الأولى كما قال النبي ﷺ للمرأة التي كانت تبكي على قبر ولدها الذي فقدته فقال لها: "اتقي الله واصبري"، فقالت له: أنت لا تدري بمصيبتي، فتركها النبي وذهب. ولما قيل لها: هذا رسول الله؛ ذهبت إليه وقالت: لم أكن أعرفك، فقال لها النبى ﷺ: "إنما الصبر عند الصدمة الأولى".

عن أنسٍ بن مالك قالَ: أتى نبيُّ اللَّهِ ﷺ على امرأةٍ تبكي على صبيٍّ لَها فقالَ لَها: "اتَّقي اللَّهَ واصبِري" فقالت: وما تُبالي أنتَ بمصيبَتي، فقيلَ لَها: هذا النَّبيُّ ﷺ، فأتتهُ، فلم تجِدْ على بابِهِ بوَّابينَ فقالت: يا رسولَ اللَّهِ، لم أعرِفْكَ، فقالَ: "إنَّما الصَّبرُ عندَ الصَّدمةِ الأولى"

إنّ كل ما يحدث في الكون هو من إرادة الله، وبعلمه، وسنته في الابتلاء لكي يتباين الناس؛ فمنهم من يجزع ويهلع ويسخط ولا يرضى عند وقوع الابتلاء، وهذا فاته أجر الامتثال لأمر الله بالرضا والصبر، ونقص ما معه من الإيمان، ومنهم من يوفقه الله للصبر عند وقوع البلاء أو المصيبة فيمنع نفسه عن السخط قولًا وفعلًا، ويحتسب الأجر عند الله لعلمه بما سيدركه من الأجر بالصبر على المصيبة، فيكون حينها الابتلاء نعمة في حقه.

ولهذا قال تعالى:

﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥]

أي: بشِّرهم بأنهم يوفَّوْن أجورهم بغير حساب إذا صبروا على بلاءٍ أو مصيبة تصيبهم. والمصيبة هي كل ما يؤلم القلب أو البدن أو كليهما.

قال تعالى:

﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]

فالصابرون على بلاء الله يعلمون أنهم من الله وإليه، وأنهم مدبَّرون تحت أمره وتصريفه، وليس لهم من أنفسهم شيء، فإذا ابتلاهم بشيء فقد تصرف فيما يملك، وهم على ثقة أنه أرحم الراحمين، الذي لا يريد بهم إلا الخير، فلا يعترضون على قضائه، فيوجب ذلك لهم الرضا من الله والشكر على تدبيره لما هو خير لعباده وإن لم يشعروا بذلك.

يقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآيات:
إن الله سبحانه وتعالى يخبرنا بأنه لا بد أن يبتلي عباده بالمحن؛ ليتبين الصادق من الكاذب، والجازع من الصابر، وهذه سنته تعالى في عباده، كما قال سبحانه:
﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ﴿٣١﴾ ﴾ [محمد: ٣١]

وقال عز وجل:
﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ ﴾ [الملك: ٢]
فتارة بالسراء، وتارة بالضراء من خوف وجوع؛ فإن الجائع والخائف كلٌّ منهما يظهر ذلك عليه، قال تعالى:
"**بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ** " أي: بقليل من ذلك؛ لأنه لو ابتلاهم بالخوف كله، أو الجوع كله، لهلكوا، والمحن تمحِّص ولا تُهلك.

"**وَنَقْصٍ مِنَ الأمْوَالِ**" أي: ويبتليهم أيضا بذهاب بعض أموالهم، وهذا يشمل جميع النقص المعتري للأموال من جوائح سماوية، وغرق، وضياع، وأخذ الظلمة للأموال من الملوك الظلمة وقُطاع الطريق وغير ذلك.

"**وَالأنْفُسِ**" أي: ذهاب الأحباب من الأولاد والأقارب والأصحاب، ومن أنواع الأمراض في بدن العبد، أو بدن مَن يحبه.

"**وَالثَّمَرَاتِ** " أي: الحبوب وثمار النخيل والأشجار كلها والخضر، ببرد، أو حرق، أو آفة سماوية من جراد ونحوه.

" **قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ** " أي: مملوكون لله، مدبرون تحت أمره وتصريفه، فليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء، فإذا ابتلانا بشيء منها فقد تصرف أرحم الراحمين بمماليكه وأموالهم، فلا اعتراض عليه، بل من كمال عبودية العبد علمه بأن وقوع البلية من المالك الحكيم، الذي هو أرحم بعبده من نفسه، فيوجب له ذلك الرضا عن الله، والشكر له على تدبيره، لما هو خير لعبده، وإن لم يشعر بذلك.

ومع أننا مملوكون لله فإنا إليه راجعون يوم الميعاد؛ ليجازي كل عامل بعمله، فإن صبرنا واحتسبنا وجدنا أجرنا موفورًا عنده، وإن جزعنا وسخطنا، لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر، فكون العبد لله، وراجعًا إليه، من أقوى أسباب الصبر.

"**أُولَئِكَ**" أي الموصوفون بالصبر المذكور.
"**عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ**" أي: ثناء وتنويه بحالهم.

"**وَرَحْمَةٌ**" رحمة عظيمة، ومن رحمته إياهم أنْ وفَّقهم للصبر الذي ينالون به كمال الأجر.
"**وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**" الذين عرفوا الحق، وهو في هذا الموضع أعلمهم أنهم لله، وأنهم إليه راجعون، وعملوا به: وهو هنا صبرهم لله.

ودلت هذه الآيات الكريمة على أن من لم يصبر فله ضد ما لهم، فحصل له الذم من الله والعقوبة والضلال والخسارة، فما أعظمَ الفرق بين الفريقين، وما أقلَّ تعب الصابرين، وأعظمَ عناء الجازعين.

فقد اشتملت هاتان الآيتان على توطين النفوس على المصائب قبل وقوعها، لتخف وتسهل إذا وقعت، وبيان ما تقابَل به إذا وقعت، وهو الصبر، وبيان ما يعين على الصبر، وما للصابر من الأجر، ويُعلم حال غير الصابر بضد حال الصابر.

وأن هذا الابتلاء والامتحان سنة الله التي قد خلت،
ولن تجد لسنة الله تبديلا.

وقد هون الله على عباده شأن المصائب، بما وعد من البشارة الصالحة والوعد الحسن في قوله:
﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر: ١٠]

قال الأوزاعي في تفسير هذه الآية: ليس يُوزن لهم ولا يُكال، إنما يُغرف لهم غرفا.

وهذا الجزاء يكون في الآخرة، وأما في الدنيا فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا

إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا "

وقال تعالى:

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣]

وهذا من أعظم السلوى؛ فإن العبد إذا علم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأنه لو قدر الله شيئًا لكان، لاستكانت نفسه وهدأت واطمأنّ قلبه.

إن الابتلاء قد يصيب العاصي ليُكفر الله به ذنوبه،
وقد يصيب الطائع ليقربه الله إليه أكثر وأكثر،
ولقد كان الأنبياء أشد الناس بلاءً، ثم الصالحون فالصالحون حتى أصحاب النبي ﷺ،

جاء في صحيح البخاري أن الصحابي خباب بن الأَرَتِّ ﷺ قال: شَكَوْنَا إلى رَسولِ اللَّهِ ﷺ وهو مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً له في ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا له: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟

قالَ: كانَ الرَّجُلُ فِيمَن قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ له في الأرْضِ، فيُجْعَلُ فِيهِ، فيُجَاءُ بالمِنْشَارِ فيُوضَعُ على رَأْسِهِ فيُشَقُّ باثْنَتَيْنِ، وما يَصُدُّهُ ذلكَ عن دِينِهِ، ويُمْشَطُ بأَمْشَاطِ الحَدِيدِ ما دُونَ لَحْمِهِ مِن عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وما يَصُدُّهُ ذلكَ عن دِينِهِ، واللَّهِ لَيُتِمَّنَّ اللهُ هذا الأمْرَ، حتى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِن صَنْعَاءَ إلى حَضْرَ مَوْتَ لا يَخَافُ إلَّا اللَّهَ أَوِ الذِّئْبَ على غَنَمِهِ، ولَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ "

لقد كان صحابة رسول الله يُبتلون بالشدائد والمحن وهم أفضل البشر بعد الأنبياء، وكان من أشد الناس تعرضًا للعذاب في مكة في بداية البعثة النبوية الشريفة، الصحابي خباب بن الأرت، الذي جاء يشكو إلى النبي ويسأله أن يدعو له ولأصحابه بالنصر.

فأخبره النبي كما جاء في الحديث أن ما هم فيه ليسوا مختصين به من الأمم، بل كان هناك مِن قبلهم مَن يعذَّبون بما هو أشد مِن عذابهم، وما كان يصدهم هذا العذاب عن دينهم.

أراد النبي ﷺ أن يثبّتهم ليصبروا على البلاء، ثم بشرهم بنصر الله لأهل الإسلام وانتشاره في كل الجزيرة العربية حتى إن الراكب يسير من مدينة صنعاء شمال اليمن إلى مدينة حضر موت جنوب اليمن لا يخشى إلا الله؛ لأنهم سيكونون قد دخلوا في الإسلام.

وهذا ما تحقق في حياة النبي ﷺ لاحقًا، وانتشر الإسلام في الجزيرة العربية كلها، وكان للإسلام ما كان من نصر عظيم على أعظم إمبراطوريتين في ذاك الزمان الفرس والروم والسيطرة على بلاد الشام وبلاد العراق.

فكن واثقًا من أن رحمة الله تحيطنا كل الوقت، حتى في الشدائد تكون هناك رحمات خفية، كما يُقال عند أهل الطب: الشيء الذي يُعالج بالمشرط ليس من الرحمة أن تعالجه بالمرهم، والرجل الذي يحتاج إلى إجراء عملية وفتح بطن وشق جلد ونزيف دماء، هل من الرحمة به أن أقول: هذا مؤلم والأفضل أن نعطيه مرهمًا خارجيًّا؟! كذلك رحمة الله وله المثل الأعلى سبحانه، قد تأتي في صورة ابتلاء أو شدة لكي تُحسن أمرًا ما في حياة أحدنا، أو تحرك جمود الأمة الإسلامية وتوقظها لتُفيق من غفلتها.

أثر معرفة الله الرحيم في حياتنا

إنه ليتوجب على كل منا عندما يعرف مدى رحمة الله بالكون والجمادات وجميع المخلوقات أن يكون رحيمًا لين الجانب في القول والفعل، يعامل والديه ببرٍّ ورفق، ويعامل زوجته برفق، ويعامل أولاده برفق، ويعامل مرؤوسيه برفق، يعامل من يعرف ومن لا يعرف برفق، وأن يتحلى بصفات ربه الرحيم ذي الرفق، وهذا من معاني قول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠] أي: الدعاء بها قولًا وعملًا، فمن عرف أن ربه رحيم توجب عليه أن يكون رحيما.

وعندما نمارس في حياتنا الرحمة والرفق ستكون حياتنا أجمل، وعلاقاتنا أقوى، وتعاملاتنا أرقى، وسلوكنا في الشوارع أكثر تحضُّرًا، وسيقل العنف في العالم؛ فغياب الرحمة والرفق بين الناس بعضها وبعضٍ، والمجتمعات بعضها وبعضٍ هو الذي حوَّلَ كوكب الأرض إلى جحيم، حروب ومعارك وقتلى وسجون ممتلئة حتى إن بعض الدول عدد السجون بها أكثر من عدد الجامعات الحكومية. والمؤسف في الأمر أن معظم الحروب تدور عجلتها في بلاد الإسلام رغم أن ديننا دين الرحمة ودين السلام.

إن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بالرحمة والرأفة والبِر؛ لكي نطبق هذه الصفات في حياتنا، وأنزل هذه الرحمة في قلب النبي ﷺ، قال سبحانه:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

إذن فالرحمة من الله سبحانه وتعالى، وليست من عند أنفسنا، وعلينا أن ندعو الله أن يجعلنا رحماء بأنفسنا وبالناس وبجميع المخلوقات.

ومن دواعي رحمته أنه يستر على عباده؛ فالله جل جلاله من أسمائه السِّتّير، جاء في صحيح النسائي أن رسول الله ﷺ قال: "إن اللهَ عزَّ وجلَّ حليمٌ حييٌّ، سِتِّيرٌ، يُحِبُّ الحياءَ والسَّتْرَ "

سبحانه يحب الستر ويحب أن يستر على عباده فكم من ذنوب نقترفها ويسترها علينا، وكم من عيوب ونقائص فينا يسترها علينا، وربما لو علمها الناس ما احترمونا ولا نظروا في وجوهنا ولا تعاملوا معنا، ولفسدت معظم العلاقات في حياتنا.

إن الله الستير يحب أن يستر بعضنا على بعض، فإذا علم أحدنا عن أخيه ذنبا أو نقيصةً فلا يفضحه بها، وإذا رأى منشورًا لفضيحة فلان أو فلانة على وسائل التواصل الاجتماعي فيتوجب عليه ألا ينشرها سواءً كانت معلومة صحيحة أو خاطئة، وما أكثر الأخبار الخاطئة على مواقع التواصل الاجتماعي.

إن الذين يتعمدون فضْح الناس وكشْف ستر الله عليهم، ينسون أن مَن تتبَّع عورات الناس وتعمد كشف سترهم سيبتليه الله بمن يتتبع عوراته ويكشف ستره، وأن من يصنع خيرًا يجدْ خيرًا.

قال النبي ﷺ:

" يا مَعْشَرَ مَن آمن بلسانِه ولم يَدْخُلِ الإيمان قلبَه، لا تغتابوا المسلمينَ، ولا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِم، فإنه مَن تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيه المسلمِ، تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَه، ومَن تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَه، يَفْضَحْهُ ولو في جوفِ بيتِهِ"

وكان السلف الصالح يقولون:

" من سمع بفاحشة فأفشاها كان كالذي بدأها "

فالله نسأل أن يسترنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض عليه، وألّا يجعلنا سببًا في فضح عباده بعلم أو بغير علم.

ومن رحمة الله عز وجل بنا أنه حليم، يصبر علينا وعلى معاصينا وذنوبنا وتقصيرنا وزَلّاتنا، ويحب منا أن نتصف بصفة الصبر، وأن

نصبر على الناس، ولا نردّ الإساءة بمثلها إن استطعنا، وذاك بالحِلم أو الإعراض، وأن نصبر على كل ما يواجهنا في هذه الحياة من ابتلاءات وعثرات، فهناك صبر على الطاعة كي لا نتركها، وصبر على المعصية كي لا نأتيها، فقد حُفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات.

فالإنسان يُكره نفسه على ترك المعاصي وترك الملذات طاعة لله، وتنفيذًا لأوامره عز وجل، وهو شيء ليس بالأمر الهين خاصة في عصرنا الحالي الذي أصبحت فيه المعاصي سهلة المنال وميسرة للجميع.

ولربما يكون عصرنا هو الزمان الذي تحدث عنه النبي ﷺ لصحابته فقال:

" إِنَّ مِنْ ورائِكُم زمانَ صبرٍ، لِلْمُتَمَسِّكِ فيه أجرُ خمسينَ منكم"

أي: سيأتي من بعدكم زمان، يكون فيه الالتزام بالدين والاعتصام به يحتاج إلى صبر عظيم، لذا سيضاعف الله الأجر لأولئك الذين يصبرون على الطاعة ويتمسكون بدينهم، فيكون للواحد منهم أجر خمسين من الصحابة، وهذا من عِظَم البلاء؛ حيث يشعر القابض على دينه والمتمسك به بشعور القابض على جمرة من نار من شدة ما يواجه من ابتلاءات وفتن.

إن الرحمة بالناس والرفق بهم تجلب السعادة لمعطيها قبل آخِذها، فعندما تُسعد الآخرين ستشعر بالسعادة، وهذا ثابت

علميًّا، فقد اكتشف العلماء أن هناك خلايا في مخ الإنسان تسمى الخلايا المرآتية Mirror neurons وهي خلايا عصبية مسؤولة عن تبادل المشاعر بين المخلوقات بعضها وبعض، فإذا استطعت أن تُسعد إنسانًا أو عائلة فستنتقل إليك مشاعر السعادة عن طريق تلك الخلايا المسؤولة عن تبادل المشاعر.

ويمكنك أن تستشعر ذلك حينما تجلس في مكان ما يضحك فيه الناس ستجد نفسك تضحك تلقائيًّا، وقد أجرى الإعلامي الأستاذ أحمد الشقيري تجربة يمكنك مشاهدتها على اليوتيوب في برنامجه (سين ٢) بعنوان (الضحك) تثبت هذه الظاهرة عن طريق وضع كاميرات في أتوبيس نقل عام بالقاهرة، ثم الاتفاق مع أحد الأشخاص على الضحك بصوت عالٍ لفترة طويلة، فبعد أن تعجّبَ الناس من ضحكه في البداية بدأ الركاب واحدًا تلو الآخر في الضحك رغم أنهم لا يعرفون السبب الذي يُضحك ذاك الشخص، ولكن مشاعر البهجة والضحك انتقلت إليهم فصار معظم من في الأتوبيس يضحكون.

وبالمثل إذا كنت في مأتم والناس في حالة حزن فستجد نفسك تلقائيًّا تشعر بالحزن، وإذا مشيت في مظاهرة مثلًا فستجد نفسك تتحمس وتغضب وتثور مثلهم؛ لأن العقل الجمعي يسيطر على الجميع ويتحركون ويتصرفون كعقل واحد وكأن المجموعة أصبحت فردًا واحدًا.

لذلك لا تبخل بإدخال السرور والسعادة على قلوب الناس؛ لأن نصيبك منها سيكون الأكبر وستشعر بالسعادة ربما أكثر ممن تسببت لهم فيها؛ فالسعادة معْديَة تمامًا كالحزن، وكذلك الرحمة والرفق؛ فعندما تترفق بالناس وترحمهم ستشعر بالرحمة والرفق في أعماقك.

إن تطبيق وتفعيل اسم الله (الرحيم) في حياتنا يجعل حياتنا أقل ضجيجًا وأقل اختلافًا مع الناس؛ فقد بين لنا سبحانه كيف تستمر الحياة الزوجية عن طريق التراحم بين الزوجين، والتغافل عن الزلات لا عن طريق الحب؛ لأن الحب انفعال وقتي وشعور وعاطفة تزيد وتنقص مع الوقت

قال سبحانه:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١]

إن عدم وجود الرحمة والرفق والمودة بين الزوجين، هو ما دفع، ويدفع كثيرًا من الأزواج إلى أن يشْكُوا ضغط زوجاتهم عليهم بطلبات لا يستطيعون تلبيتها، ويدفع زوجات أن يشْكُون من عدم الشكر من الأزواج رغم ما يقدّمْنه من عطاء، وجعل آباءً يشكون

عقوق أولادهم، وأخواتِ يشكون عدم ود إخوانهم، فكونوا رحماء حتى يرحمنا الله عز وجل ويسود الود والحب بيننا.

إن من عظمة دين الإسلام أنه يأمرنا بالرحمة والرفق مع كل الناس، القريب منهم والغريب، مَن نعرف منهم ومَن لا نعرف حتى مع مرؤوسينا وخدَمِنا ومن هم تحت إمرتنا.

جاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ كان يوصي الصحابة على الخدم فقال لهم:
" هُم إخوانُكم خَوَلُكم، جَعَلَهم اللهُ تحت أيْديكم، فمَن كان أخُوه تحت يَدِه فلْيُطعِمْه ممَّا يَأكُلُ، ويُلبِسْه ممَّا يَلبَسُ، ولا تُكلِّفوهم ما يَغلِبُهم، فإنْ كَلَّفتُموهم فأعينُوهم، ومَن لم يُلائِمْكم منهم فبِيعوهم، ولا تُعذِّبوا خَلْقَ اللهِ "

وخولُكم معناها خدمُكم وعمالكم والموظفون الذين يقضون لكم أموركم.

وحتى مع أصحاب الديانات الأخرى أمرنا الله أن نبرهم ونتعامل معهم برأفة ورحمة ولين، فقال سبحانه:
﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ ﴾ [الممتحنة: ٨]

وذات يوم وقف النبي ﷺ عندما مرت جنازة، فقال له الصحابة: يا رسول الله، إنه يهودي، فقال لهم النبي: "أليست نفسًا؟!"

هذا هو منهج الإسلام يدعو إلى الرفق مع جميع الناس، الرئيس والمرؤوس، السيد والخادم، الكبير والصغير، المسلم وغير المسلم، ثم تجد بعد كل ذلك من يتهم الإسلام ظلمًا وزورًا بأنه دين عنف؛ لأن قلة من المسلمين أساؤوا تفسير آيات الله وانحرفوا عن منهجه القويم بسبب جهلهم أو لأغراض دنيوية الله أعلم بها، أو تجد من يقول: إن الإسلام دين عنف لأن به عقوبة القتل وعقوبة الرجم مثلًا.

والرد على هؤلاء: إن الإسلام فرض كما فرضت جميع الشرائع والمجتمعات عقوبة لبعض الجرائم التي تستلزم إزهاق الروح حتى تستقيم حياة الباقين ويأمن المجتمع ويعيش في سلام، فكيف لمجرم قاتل إذا قتل شخصًا متعمدًا أن يُترك دون قتل، وهذه العقوبة موجودة في كل دول العالم لبعض الجرائم مثل القتل الجماعي والخيانة السياسية، وبالتالي فالبشر متفقون على أن هناك جرائم أو أفعالًا تستحق القتل وإزهاق الروح.

إن الله الرحمن الرحيم هو أرفق الناس بعباده وقد فرض القتل للقاتل حتى لا يتجبر ويتمادى في قتل الناس إذا تُرِك حيًّا، وهو أيضًا

بحكم قتل القاتل قد منح الحياة لكثيرين ممن كان سيتجرأ عليهم هذا القاتل لأنه يعرف سابقًا أنه إذا قتل فسيُقتل، إذن فحكم قتل القاتل المتعمد في الإسلام غرضه حفظ حياة الناس وردع كل من يفكر في قتل أحد، لذلك قال الرؤوف الرحيم بأن حكم القصاص به حياة للناس.

قال تعالى:

﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾

[البقرة: ١٧٩]

مهارة التعاطف

من رحمة الله تعالى نستلهم ونتعلم إحدى مهارات الذكاء الاجتماعي - وهو قدرة الشخص على تحديد وإدارة عواطفه ومشاعره ومشاعر الآخرين- وهي مهارة التعاطف.

والتعاطف هو الانتباه لمشاعر الآخرين وعواطفهم وفهم ما يمرون به، والتواصل معهم وعدم التغاضي عن معاناتهم.

يقسم علماء النفس التعاطف إلى عدة أنواع منها:

أولًا التعاطف المعرفي: وهو القدرة على وضع نفسك في موقف شخص آخر وتبني وجهة نظره، لكن دون التعمق في عواطفه ومشاعره، وهو من المهارات الهامة جدًّا في فن التفاوض لموظفي المبيعات وللمديرين، وهو تعاطف عقلي لا يتبعه انغماس في مشاعر الآخرين للحد السلبي الضار.

ثانيا التعاطف العاطفي: وهو المعنى الحرفي للشعور بالآخرين، ويعرف باسم العدوى العاطفية، وينطوي على فهم مشاعر الآخرين بسهولة، ويعد أمرًا جيدًا لدى بعض الأشخاص الذين

يعملون في المجال الطبي الذي يُمكنهم التعاطف العاطفي بالاستجابة لمرضاهم بطريقة صحيحة، كما تساعد مهارة التعاطف العاطفي على حُسن التعامل مع مشاعر الأصدقاء والمقربين عند مرورهم بحالات حزن أو مواقف صعبة.

ثالثًا التعاطف الرحيم: وهو الشعور بالآخرين الذي يتبعه إجراء عملي لمساعدتهم، ولا يقتصر على المشاعر فقط، فعادةً ما يحتاج الأشخاص إلى المساعدة العملية أكثر من حاجتهم إلى فهم مشاعرهم والشعور بآلامهم أو الانفجار بالبكاء لأجلهم، ومثال التعاطف الرحيم أن يقوم صديق بإعداد نزهة أو رحلة إلى مكان ما لصديقه وأصدقائهم المشتركين للترويح عنه وإخراجه من حالة حزن أو انكسار يمر بها نتيجة فشل في علاقة أو انفصال أو فقْد عزيز. هذا التعاطف يترك أثرًا قويًا في النفس.

وقد فعله أرحم الخلق سيدنا محمد ﷺ مع أهل سيدنا جعفر بن أبي طالب حين جاء خبر وفاته في غزوة مؤتة للنبي ﷺ، فأمر أهله بصنع الطعام لآل جعفر وقال لهم:

إنه قد أتاهم من الحزن ما يشغلهم عن إعداد الطعام لأنفسهم وذويهم.

فلم يكتفِ النبي بتفهم مشاعرهم فقط، ولكنه ﷺ اتخذ إجراءً عمليًّا لمساعدتهم والتعبير عن تعاطفه معهم.

إن إظهار التعاطف مع الآخرين من الأمور الهامة جدًّا لتقوية العلاقات الشخصية وعلاقات العمل؛ لأن التعاطف مع شخص ما يمنحه الشعور بالأهمية والرضا عن نفسه كما أنه يضيف للشخص الممارس للتعاطف قيمة وأهمية.

والتعاطف ليس مهارة وراثية، ولكنه مصنَّف على أنه مهارة حياتية مكتسبة، ويمكن تعزيزها بالعديد من الممارسات، ومنها ما يلي:

١- القراءة: حيث تساعد القراءة على الدخول إلى عالم مختلف وتعلم عادات الآخرين والتعرف على ثقافاتهم وتجاربهم الإنسانية وطريقة تفكيرهم، مما يجعل عقلك منفتحًا وأكثر تقبلًا للأشخاص المختلفين عنك.

٢- الاستماع: حيث إن الاستماع الجيد للآخرين يساعد على فهم أفكارهم ومشاعرهم بطريقة أفضل.

٣- تقبل الاختلافات: حيث ينفرد كل شخص بطريقة تفكيره ومعتقداته الخاصة وسلوكه وطريقة تعامله مع الأمور، إذ إن تقبُّل هذه الاختلافات بينك وبين الآخرين يجعل منك شخصًا أكثر انفتاحًا وأكثر قدرة على

التعاطف مع الآخرين وتقديم المساعدة لهم، التي هي من باب التراحم بين العباد الذي أمر الله به سبحانه وتعالى.

جاء في صحيح أبي داود والترمذي وأحمد، أن النبي ﷺ قال:

" الرَّاحِمونَ يرحَمُهم الرَّحمنُ تبارَك وتعالى؛ ارحَموا مَن في الأرضِ يرحَمْكم مَن في السَّماءِ ".



أحبُّك ربي؛ لأنك لطيف

يلطف ربي بعباده ويرعاهم ويرزقهم
دون أن يشعروا بجلال ورهبة وجوده سبحانه
ولا بوجود الملائكة التي تراقبهم وتسجل أعمالهم
أولئك الذين لو شعرنا بهم لما طاب لنا عيش
يلبي ربي حاجتي إذا ناديته
ويأويني إذا قصدته
ويكفيني إذا أطعته
ويعلم ذنوبي ويسترها عليَّ إذا عصيته
فهو خبير بكل شيء، ولكنه لطيف.
قال سبحانه:

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]

فكيف لا أحبه؟!
وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

ولأنه لطيف

أعطى الناس فوق ما يحتاجون

وكلفهم فقطْ بما يطيقون

ففرض عليهم خمس صلوات تحتاج ساعة من يومهم

وفرض صيام شهر واحد من عامهم

وجعل الزكاة ربع العشر من أموالهم

وقبِل التوبة بأيسر ما يكون من نطق لسان

ومن لطفه جعل أحكامه ميسرة

ولم يكلف الجميع بالمهام نفسها،

بل كلف كل نفس بما تطيق وتتحمل؛

لأننا مختلفون في القوة والجهد والصبر.

قال سبحانه:

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]

وقال

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ ﴾ [الطلاق: ٧]

فكيف لا أحبه؟!

وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

ولأنه لطيف

أخفى عن عباده عاقبتهم في الآخرة،
فلو علم أحدنا أنه من أهل الجنة
لاتّكل على ذلك وتوقف عن عمل الصالحات،
ولو علم أحدنا أنه من أهل النار
ليئس من التوبة وعثا في الأرض فسادًا
ومن لطفه بعباده نعمة النسيان
حتى ينسى التائبون ذنوبهم وزلاتهم
فلا تنغص عليهم معيشتهم،
ومن لطفه بعباده إخفاء الأجل عنهم
لئلا يخافوا ويستوحشوا دنوّ الأجل؛
لأنه خالقهم وأعلم بهم وبنفوسهم.
قال سبحانه:

﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك: ١٣-١٤]

فكيف لا أحبه؟!
وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

ولأنه لطيف

إذا نزل بالعبد مصيبة أو محنة أو ابتلاء
يوفقه بلطفه لاحتساب الأجر
ليخفف عليه المصيبة ولا يجزع من هولِها،
ومن لطفه أن يوفقنا للطاعات مع غياب أسبابها
ويصرف عنا المعاصي مع وجود أسبابها
كما وفق سيدنا يوسف للعفة
عندما راودته امرأة العزيز وغلقت الأبواب
فغابت أسباب العفة وتهيأت سهولة الفاحشة
لكن ربي كان به لطيفا
لأنه سبحانه لطيف لما يشاء.

قال سبحانه:

﴿ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٠٠ ﴾

[يوسف: ١٠٠]

فكيف لا أحبه؟!
وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

ولأنه لطيف

ييسر الأسباب سبحانه لما يريد حدوثه

فلولا تآمر إخوة يوسف عليه؛ لما أُلقي في الجُبِّ

ولولا إلقاؤه في الجُبِّ؛ ما أخذه السيارة

ولولا أخْذ السيارة له، وزهدهم فيه؛

لما باعوه لعزيز مصر

ولولا بيعه لعزيز مصر؛ لما راوَدَته امرأة العزيز عن نفسه

ولولا هذه المراودة؛ ما دخل السجن

ولولا دخوله السجن؛ ما التقى صاحبيه

ولولا تأويله لهما ما رأياه في المنام؛ ما وصَلَ أمرُه للملك

ولولا وصول أمره للملك؛

ما خرج من السجن ولا ولي خزائن الأرض.

وهكذا رفع الله يوسف من طريق الذلة

وأغناه من طريق الفقر وأسعده من طريق الشقاء!

فسبحانه اللطيف..

كيف لا أحبه؟!

وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

ولأنه لطيف

يحمينا من شرور أنفسنا وأفكارنا
ويدبر لنا في الخفاء ما يصلح أحوالنا
وقد نظن بعض نجاحاتنا صدفة
في حين أنها تدبير منه سبحانه.
يقول سيدنا على بن أبي طالب عن لطف الله:

وَكَم لِلّهِ مِن لُطفٍ خَفيٍّ..
يَدِقُّ خَفاهُ عَن فَهمِ الذَّكِيِّ
وَكَم يُسرٍ أَتى مِن بَعدِ عُسرٍ..
فَفَرَّجَ كُرْبَةَ القَلْبِ الشَّجيِّ
وَكَم أَمرٍ تُساءُ بِهِ صَباحًا..
وَتَأتيكَ المَسَرَّةُ بِالعَشيِّ
إِذا ضاقَت بِكَ الأَحوالُ يَومًا..
فَثِق بِالواحِدِ الفَردِ العَلِيِّ

سبحانه اللطيف،
كيف لا أحبه؟!
وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

ولأنه لطيف

جعل المشاعر في دينه عبادة؛

فمن يصبر على ابتلائه يؤجر

ومن ينتظر الفرج محتسبًا يؤجر

ومن يحمده بعد كشف البلاء يؤجر

ومن يتألم لمُصاب أخيه يؤجر

ومن يكظم غيظه يؤجر

ومن يدعو لأخيه بظهر الغيب يؤجر

قال سبحانه:

﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

[المؤمنون: ١١١]

فكيف لا أحبه؟!

وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

ولأنه لطيف

يمنحنا القدرة على تجاوز المحن
وتجاوز أوقات الحزن والشدائد
تلك الأوقات التي كنا نحسبها لن تمر
وتلك المشاعر التي كنا نحسبها لن تفارقنا
لكنها بلطفه مرت وبعونه تجاوزناها.
كم كان لطيفًا سبحانه بـ يعقوب حين قال:
﴿ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ٨٦]،
فرد له يوسف

وكم كان لطيفًا سبحانه بـ بزكريا حين قال:
﴿ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ ﴾ [الأنبياء: ٨٩]
فرزقه يحيى

وكم كان لطيفًا ب أيوب حين قال:
﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ ﴾
[الأنبياء: ٨٣]

فرفع الضر عنه وشفاه.
وكثيرا ما دعوته فلطف بي سبحانه.
فكيف لا أحبه؟!
وكيف لا يطمئن قلبي به؟

ولأنه لطيف

يُنزل البلاء على حسب قوة المبتلى؛

فما أصاب أهلنا في فلسطين من إبادة وبلاء

لا يتحمله إلا رجال كرجال فلسطين

ونساء كنساء فلسطين، وأطفال كأطفال فلسطين

رجال ونساء وأطفال ملأَتْهم العزة

لا يهابون الموت

ولا تُخيفهم أصوات القنابل ولا التفجير

صمدوا في وجه العدو رافضين للتهجير

وانقسموا بين مُجاهد يطلب النصر أو الشهادة

ومُحاصر يواجه القذف والإبادة

فسبحانه اللطيف الخبير بعباده

الذي به تسكن وتطمئن القلوب

أثر معرفة الله اللطيف في حياتنا

نستلهم من اسم الله (اللطيف) صفات اللطف والرقة والرأفة، التي إذا تعاملنا بها في حياتنا كانت النتيجة هي ألطف زوج، وأرحم أبٍ، وأبَرّ ابنٍ، وأرفق مدير، وأعظم عالِم.

إن لطف الكلام ولطف العشير ولطف الرد يبني بيننا قصورًا من الود، فكن لطيفا؛ لأن الله سبحانه وتعالى لطيف، ويأمرنا أن ندعوه بأسمائه قولًا وفعلًا، وأن نكون لطفاء مع من نعرف ومن لا نعرف.

ولُطْف الله بعباده من الرحمة، بل هو رحمة خاصة؛ فالرحمة التي تصل إلى العبد من حيث لا يشعر بها أو بأسبابها هي اللطف. يقال: لطف بعبده، ولطف له: أي تولاه ولاية خاصة، بها تصلُحُ أحواله الظاهرة والباطنة، وبها تندفع عنه جميع المكروهات من الأمور الداخلية والأمور الخارجية، فالأمور الداخلية لطفٌ بالعبد، والأمور الخارجية لطف للعبد، فإذا يسر الله لعبده وسهل له طرق الخير، وأعانه عليها؛ فقد لطف به، وإذا قيض له أسبابًا خارجية غير داخلة تحت قدرة العبد فيها صلاحه؛ فقد لطف له.

ومن معرفة اسم الله (اللطيف) يتوجب علينا أن نتلطف في التعامل مع الناس ولا نشدد عليهم فيشدد الله علينا، وأن نترفق بهم ونراعي أحوالهم وظروفهم وقوتهم وإمكانياتهم؛ فلكلٍّ منا ظروفه وتفاصيله وخباياه وهمومه التي لا يعلمها إلا الله.

جاء رجل إلى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ليستفتيه في مسألة ما، فلما أفتاه الإمام تغير وجه الرجل،

فقال له الإمام: لعلي شققت عليك بفتواي،

فقال الرجل: نعم

فقال له الإمام: اذهب إلى فلان من العلماء؛ فإنه يُفتي بغير ما أفُتي.

رحم الله الإمام أحمد بن حنبل الذي كان خير قدوة للمسلمين
وأراد الرفق بصاحب المسألة فأرشده إلى عالِم غيره
لعله يفتيه بما هو أرفق من فتواه؛ لأنه يعلم أن الصحيح متعدد
وأن اختلاف العلماء رحمة، وأن لكل منهم دليلًا على فتواه
وطريقته في فهم النص واستنباط الأحكام.

لاحظ كيف لم يقل له الإمام إن رأيي هو الصحيح
أو هو الأفضل والأدق والأقرب إلى الصواب،

بل أراد به الرفق؛ لأنه من صفات الله التي يتوجب على مَن عرفه حق المعرفة أن يلزمها ويتبعها ويطبقها في حياته.

لقد كان هذا ديدن علمائنا الكبار، الذي يجب أن يتبعه دعاة الإسلام في كل زمان ومكان بأن يترفقوا بالعباد ويعاملوهم باسم الله (اللطيف)، حتى وإن أرادوا أن يشقوا على أنفسهم بالعبادة، فلا ينبغي لهم أن يشقوا على عامة المسلمين.

إن اسم الله (اللطيف) يرجع في مدلوله إلى العلم بالأمور التي هي في غاية اللطف والصغر وفي غاية الخفاء، فنجد أن هناك بعض الكائنات تفعل أشياء مفيدة لنا دون أن ندري أو نبذل أي جهد في ذلك، وربما لو اختفت بعض هذه الكائنات لحدث اختلال في التوازن البيئي يؤدي إلى وقوع أبلغ الضرر في حياة الإنسان، وربما بالحياة كلها على كوكب الأرض.

يقول الإمام ابن القيم عن لطف الله:

وهوَ اللَّطِيفُ بِعَبْدِهِ وَلِعَبْدِهِ... واللطفُ في أوصافِهِ نَوْعَانِ

إدراكُ أسرارِ الأمورِ بِخِبْرَةٍ... واللطفُ عندَ مَوَاقِعِ الإحسانِ

فَيُرِيكَ عِزَّتَهُ وَيُبْدِي لُطْفَهُ... والعبدُ في الغَفَلاتِ عنْ ذا الشَّانِ

ولأنه لطيف سبحانه يعاملنا برفق، واللطف لغةً هو الرفق، فيقال: لطف به، أي: عامله برفق، فسبحانه لطيف يحب اللطف كما أنه رفيق يحب الرفق.

جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال:
" يا عائِشَةُ، إنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، ويُعْطِي على الرِّفْقِ ما لا يُعْطِي على العُنْفِ، وما لا يُعْطِي على ما سِواهُ "

والرفق خُلُقٌ من الأخلاق الفاضلة التي يحبها الله تعالى،
وتأتي بالخير للعبد في الدنيا والآخرة،
وحقيقته: لِين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل في غير إثم.

ومن لطفه سبحانه أوصى سيدنا محمدًا بأهله فقال:
﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ ﴾ [طه: ١٣٢]

ومن لطفه أوصى سيدنا موسى بدعوة فرعون باللين والرفق فقال:
﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه: ٤٣-٤٤]

سبحانه لطيف، يتلطف إلى البر والفاجر، وإلى المؤمن والكافر، يتلطف ويأمر بالتلطف مع كل الناس مهما كان دينهم وعرقهم وعقيدتهم، بل يأمرنا باللطف في كل شيء حتى مع الحيوان.

قال رسول الله ﷺ:
" إنَّ الرِّفْقَ لا يَكونُ في شَيءٍ إلَّا زانَهُ، ولا يُنْزَعُ مِن شَيءٍ إلَّا شانَهُ"

وهنا وضح لنا النبي أن الرفق في الأمور، والرفق بالناس،
واللين، والتيسير، من جواهر عقود الأخلاق الإسلامية، وهي من صفات الكمال، والله سبحانه وتعالى رفيق، يحب من عباده الرفق.

ولقد جاء في هذا الحديث سبب وقصة، وهو ما روته أمُّنا عائشة رضي الله عنها أنها كانت راكبة على جمل فيه صعوبة، بمعنى أنه غير مُذلل وغير مُطيع، فجعلت تردده أي: تمنعه وتدفعه بشدة وعنف وتحاول معه للركوب، فبين لها النبي ﷺ أن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، أي: إلا أكمله وزيَّنه، وأصبح ممدوحًا محمودًا، ولا يُنزع من شيء، أي: ولا يبتعد عن أمر، إلا شانه، أي: عابه وجعله قبيحا.

ولقد وعى الصحابة رضي الله عنهم هذا المعنى فكانوا رفقاء بالإنسان والحيوان، يقول أحد الصحابة: رأيتُ عمرَ بن الخطاب يَضربُ جَمَّالًا، ويقول له: حَمَّلتَ جَمَلَكَ ما لا يُطيقُ،

وقيل: إنه كان لأبي الدرداء ﷺ جمل يُقال له (دَمُون)، كانوا إذا استعاروه منه أوصاهم قائلًا: لا تحملوا عليه إلا كذا وكذا، فإنه لا يطيق أكثر من ذلك. فلما حضرت أبا الدرداء الوفاة قال:

" يا دَمُون، لا تخاصمني غدًا عند ربي؛ فإني لم أكن أحمل عليك إلا ما تطيق ".

ولأن ربي لطيف

تلطف بالوالدين وقدر لهما تعبهما

وعناء التربية الرعاية للأبناء، وجعل لهما منزلة خاصة

وأوجب طاعتهما وبرهما واللطف بهما، وجعل معصيتهما

من الكبائر حتى ولو كانوا لا يؤمنون به سبحانه.

يقول اللطيف الخبير:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [العنكبوت: ٨] ،

وقال جل في علاه:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ﴾ [الأحقاف: ١٥]

ولم يكتفِ سبحانه بالوصية، بل أمر وقضى بالإحسان لهما والطاعة والمعاملة الحسنة خاصةً عند الكبر، ونهانا حتى عن التذمر عليهما ولو بكلمة (أفّ)، فقال سبحانه:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣]

فسبحانه اللطيف كيف لا أحبه؟!

وكيف لا يطمئن قلبي به؟!



أحبك ربي.. لأنك ودود

لم يسمِّ ربي نفسه المحب رغم حبه لعباده
لأن المحب قد لا يقدم شيئًا لمن يحبه سوى المشاعر،
أمّا الودود فهو الذي يترجم هذا الحب إلى أفعال
ولأن الود هو أصفى الحب وأنقاه وأسمى درجاته
وهو حب بلا حقد، هو عطاء وعطف وإحسان.
يتودد إلينا بالرحمة والمغفرة والعطاء والرزق
ونحن من أصغر مخلوقاته في هذا الكون الفسيح
يتودد إلينا وهو الغني عنا وعن طاعتنا له.
قد لا نَعجبُ من حب الفقير للمُحسن إليه
ولكن العَجب من حب المُحسن لمن يُحسن إليه.
سبحانه قوي ومحسنُ ورحيم وودود.

فكيف لا أحبه؟!
وكيف لا يطمني قلبي به؟!

ولأنه ودود

عندما يحبك لا يكتفي بذلك الحب

بل يتودد إليك ويأمر أهل السماء أن يحبوك

ويضع لك قبولًا ومحبة بين أهل الأرض

جاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال:

" إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فأحْبِبْهُ، فيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فيُنَادِي جِبْرِيلُ في أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فأحِبُّوهُ، فيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ له القَبُولُ في الأرْضِ "

بل إنه عندما يحبك سبحانه يدافع عنك

ويتولى أمرك وينتصر لك ممن عاداك

جاء في الحديث القدسي أن الله تعالى قال:

" من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب "

فكيف لا أحبه؟!

وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

ولأنه ودود

لا يحب لنا سبحانه إلا الخير
يأمرنا بما ينفعنا وينهانا عما يضرنا
يأمرنا بما يُصلح دنيانا وآخرتنا
وينهانا عما يُفسد معيشتنا فيهما
قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾

(النحل:٩٠)

لا يؤاخذنا بما أخطأنا أو نسينا
ويغفر لنا تقصيرنا وما أذنبنا عمدًا
يحبنا ويحب توبتنا إليه
ويرحم من ينيب ويتودد إليه
يقول سبحانه على لسان نبيه شعيب:

﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠ ﴾

(هود:٩٠)

فكيف لا أحبه؟!
وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

ولأنه ودود

يحب كل مخلوقاته ويتودد إليهم
ويزداد حبه لمن يحبه ويطيعه
لذا جعل هناك ودًّا خاصًا لعباده المؤمنين
بأن يرزقهم أُلفة ومحبة في قلوب الناس
قال سبحانه:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ۝٩٦ ﴾ (مريم:٩٦)

يتودد ويقترب سبحانه خطوات تجاه من يسعى إليه خطوة واحدة

ومن يذكره في جمع من الناس
يذكره سبحانه في جمع أكبر منه وأعظم،
جاء في صحيح البخاري عن النبي ﷺ عن الله تعالى قال:
" أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَنِي، فإنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَنِي في مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ منهمْ، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيّ بشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعًا، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيّ ذِراعًا تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ باعًا، وإنْ أتانِي يَمْشِي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً "

فكيف لا أحبه؟!
وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

ولأنه ودود

دموع من يحبه ويخشاه غالية عنده سبحانه
فتودُّدًا منه لا يُدخل تلك العيون النار
جاء في صحيح الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال:
" عَينانِ لا تَمَسُّهما النَّارُ: عينٌ بَكَت من خشيةِ اللَّهِ،
وعَينٌ باتت تحرُسُ في سبيلِ اللَّهِ "
يبادر سبحانه بالحب لأهل الثبات على الحق
الذين تمسكوا بدينهم ولم يغيّروا ولم يبدلوا
ولم يَضْعُفوا أمام مغريات الحياة وشهواتها.
قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤]

يقدم حبه لنا على حبنا له سبحانه
ويعاتب من تأخر في التوبة والرجوع إليه
عتابَ الودود المحب الذي يريد الخير لمحبوبه فيقول:

﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ [الحديد: ١٦]

فكيف لا أحبه؟!
وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

ولأنه ودود

كان لطفه مصاحبًا لأنبيائه صلوات الله عليهم
فقال لسيدنا محمدًا توددا منه ورحمة ليطمئن قلبه
إنه يراه ويحفظه ويحرسه ويرعاه:

﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾ [الطور: ٤٨]

وقال له حين عيّروه بأنه مقطوع النسل
ولقبوه بالأبتر لوفاة أبنائه الذكور:

﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣ ﴾ [الكوثر: ٣]

أي من يغيظك مِن هؤلاء الكفار
هو الذي سيكون مقطوع الذِّكر في الدنيا والآخرة
أما أنت فما ذُكر اسمي إلا وذكر الناس اسمك
فمن قال: لا إله إلا الله، تجد مَن يردّ عليه في حينه:
محمد رسول الله، ثم يسارع بالصلاة عليه،

وقال لسيدنا أيوب حين دعاه ليكشف الضر عنه:

﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ۝٨٤ ﴾

[الأنبياء: ٨٤]

وقال لسيدنا يونس حين دعاه من بطن الحوت:

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٨]

تودد سبحانه إلى أم مريم بنت عمران حين نذرت ما في بطنها لله ودعته أن يحفظها ويعيذها وذريتها من الشيطان فقال سبحانه:

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾

[آل عمران: ٣٧]

سبحانه ودود قريب منا، يجيب دعواتنا
ويغيث الملهوف منا ويقبل التائب.

فكيف لا أحبه؟!
وكيف لا يطمئن قلبي به؟

ولأنه ودود

خلق النهار ضياءً ونورًا لكي يسعي جميع الخلق

وخلق الليل سكنًا وأمْنًا لكي يسكنوا فيه

وجعل فيه قمرًا نوره يلامس القلوب

فيتغنى به المحبّون ويتودد بعضهم إلى بعضٍ،

وخلق النباتات صنوفًا ذات بهجة

منها ما هو للطعام وحفظ الحياة،

ومنها ما هو ذو رائحة تُصنع منه العطور

ومنها ما ذو مظهر حسن بديع

من أجل السكينة والبهجة والمتعة

وخلق طيور ذات صنوف واسعة

منها ما هو للطعام...

ومنها ما هو للمتعة والبهجة وإدراك الجمال،

وخلق صنوفًا من الأسماك منها ما هو للطعام،

وكثيرا منها للزينة والاستمتاع بجمالها.

فهو سبحانه لم يُرِدْ لنا أن نكون كالأنعام
فقط نأكل ونشرب ونتكاثر وننام،
ولكن تودد إلينا بحياة ذات بهجة وجمال
وكون بديع في خلقه وبنائه وقوانينه وتنظيمه

قال سبحانه:
﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (يس:٣٣،٣٤،٣٥)

فكيف لا أحبه؟!
وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

أثر معرفة الله الودود في حياتنا

نستلهم من اسم الله (الودود) إحدى أهم مهارات التواصل الفعال، وهي مهارة إظهار مشاعر الود للآخرين التي تعد أهم عوامل نجاح القادة والمديرين الذين يستخدمون تلك المهارة لكسب حب الناس واتّباع تعليماتهم دون ضجر، وبالتالي يمارسون عملهم بحب، ما يؤدي إلى زيادة الإنتاجية والعمل بكفاءة.

أتذكر ولا أنسى كيف كان صاحب إحدى الشركات التي عملت بها يمارس هذه المهارة باقتدار مع جميع الموظفين، وبشكل خاص مع المجتهدين منهم، فكان جميع الموظفين يعملون بحب وإخلاص وتفانٍ، وكان الجميع لا يبخل بأي جهد أو فكرة مفيدة لتطوير أو تحسين العمل، ما جعل هذه الشركة إحدى أهم وأكبر الشركات في المملكة العربية السعودية في مجالها في سنوات معدودة.

كان هذا الرجل لا يتغافل عن تهنئة الموظفين أو تعزيتهم في مناسباتهم الخاصة، سواءً كانت المناسبة زواجًا أو حالة وفاةٍ أو أن يُرزق أحدهم بمولود جديد، وكان لهذا بالغ الأثر في زيادة الإنتاجية ورفع كفاءة الموظفين.

ولقد كان هذا هو ديدن سيد القادة والمديرين سيدنا محمد ﷺ الذي كان لا يترك مناسبة إلا ويظهر مشاعر الود لأهله ولأصحابه الكرام رضي الله عنهم بابتسامةٍ أو قولٍ طيبٍ أو دعاء.

جاء في صحيح البخاري أن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال:

" ما حَجَبَنِي النبيُّ ﷺ مُنْذُ أسْلَمْتُ، ولَا رَآنِي إلَّا تَبَسَّمَ في وجْهِي. ولقَدْ شَكَوْتُ إلَيْهِ أنِّي لا أثْبُتُ على الخَيْلِ، فَضَرَبَ بيَدِهِ في صَدْرِي، وقالَ: اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ واجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا "

ومعنى "ما حجبنى": أن النبي ﷺ لم يمنعه من الدخول عليه في بيته في أي وقت من الأوقات إذا استأذن عليه.

ومِنْ توَدُّده ﷺ أنَّه "كان يمرُّ بالصِّبيان فيسلم عليهم"، وكان إذا لقيه أحد من أصحابه، قام معه فلم ينصرف حتى يكون الرَّجل هو الذي ينصرف عنه، وإذا لقيه أحد من أصحابه فتناول يده، ناوله إياها فلم ينزع يده منه حتى يكون الرَّجل هو الذي ينزع يده منه.

ومِنْ توَدُّده ﷺ لأصحابه أنَّه "كان يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم".

يحكي أنس بن مالك رضي الله عنه أنه كان له أخ صغير من أمه يكني أبا عمير، كان النبي ﷺ يلاعبه ويلاطفه إذا ذهب إلى بيتهم، وذات يوم دخل عليه فوجده حزينًا، فقال:

ما لأبي عمير حزينًا؟

قالوا: يا رسول الله، مات عصفوره النُّغَيْر

فجعل النبي يقول له: أبا عمير، ما فعل النغير؟

لكي يمازحه ويلاعبه ويضاحكه ليصرف عنه الحزن.

صلى عليك الله يا أود وألطف وأحن وأشرف الخلق.

وجاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال:

"إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ يَومَ القِيَامَةِ، مَن تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ"

وهنا تظهر الأهمية القصوى للتفكر في اختيار الكلمات الرقيقة الودود عند التعامل مع الناس لكسب مودتهم وامتلاك قلوبهم، ليس لأمور الدنيا فقط، ولكن لأمور الآخرة أيضا، فالله سبحانه وتعالى لا يحب الفحش من القول والفعل.

ومهارة إظهار الود يحتاجها أيضا بشدة موظفو المبيعات؛ لأن الود يكسر الحاجز النفسي بين الموظف والعميل، فيشعر العميل بارتياح أكثر ويتشجع أكثر للتواصل معه للاستفسار أو لطلب معلومةٍ ما دون شعور بالحرج في ذلك.

ويمكن إظهار مشاعر الود للعميل حين إرسال رسالة له بأن نكتب في نهايتها: وأتمنى لك نهاية أسبوع جميلة، أو طابت ليلتك بكل خير، أو رمضان مبارك، أو أي جملة تهنئة تكون مناسبة للتوقيت الذي تراسله فيه.

إن العملاء يثقون ويفضّلون التعامل مع موظف المبيعات الودود الذي لا يهتم ببيع منتجه فقط، ولكن يهتم أيضًا بمشاعر العميل وما يناسبه، ويظهر له مشاعر الود أثناء تعامله معه.

فكن ودودًا مثل ربك اللطيف الودود
كي تجني ثمار الفلاح في الدنيا
وفي دار الخلود



أحبك ربي لأنك شكور

يأمرنا ربي بفعل ما يصلح دنيانا وآخرتنا
ولا ينتظر منا الشكر سبحانه
بل عندما نقوم بما أمرنا به
هو الذي يشكر لنا صنيعنا ويكافئنا عليه.
يشكرنا سبحانه بطرق مختلفة ومتنوعة
فيغفر لنا الذنوب ويستر عنا العيوب
يرزقنا سمعة طيبة وسيرة عطرة
يرزقنا ذرية صالحة ومالًا وحياة هانئة
يمنحنا الصحة والعافية والبركة
يشفينا من أمراض مات بها غيرنا
يهدينا إلى الحق وإلى صالح الأعمال
يرفع عنّا ابتلاءات ليس لها من دونه كاشفة

فكيف لا أحبه؟!
وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

ولأنه شكور

لا يكافئ المُحسن منا على قدر إحسانه

ولكنه يضاعف له الجزاء بكرمه

فمن ينفق من ماله ابتغاء مرضاته

لا يجد حسنة ثوابًا بما أنفق

ولكنه يجد سبعمائة حسنة

بل يضاعف ربي لمن يشاء بكرمه.

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦١]

يشكر لنا العمل القليل بالأجر الكثير؛

لأنه يعاملنا بكرمه لا بعدله سبحانه،

وعطاياه لنا لا يمكن حصرها

ونعمه علينا لا نستطيع إحصاءها.

فكيف لا أحبه؟!

وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

ولأنه شكور

لا يشكرنا على كبير الأعمال

كالصيام والعمرة والحج فحسب،

ولكنه يشكرنا على صغير العمل أيضًا

كأن نبتسم في وجوه الناس كافة

من نعرف منهم ومن لا نعرف

أو نزيل عثرة أو أذًى من طريق

أو نرفق على صغار السن ونستوعب فكرهم

أو نساعد كبار السن ونقدر ضعفهم

أو نسقي طائرًا أرهقه العطش

أو نطعم حيوانًا يتضور جوعًا

يشكر لنا كل فعل مهما صغر

ولو كان في حجم الذرة التي لا ترى بالعين

قال سبحانه:

﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ ﴾ [الزلزلة: ٧]

فكيف لا أحبه؟!

وكيف لا أطمئن به؟

ولأنه شكور

لا يشكر لنا فقط الطاعة والعمل الصالح،

بل يشكر لنا بكرمه نيّاتنا الحسنة،

قال ﷺ:

" مثلُ هذه الأُمَّةِ كمثلِ أربعةِ نفرٍ: رجلٌ آتاهُ اللهُ مالًا وعلمًا فهو يعملُ بعلمِه في مالِه يُنفقُه في حقِّهِ، ورجلٌ آتاه اللهُ علمًا ولم يُؤْتِه مالًا فهو يقولُ: لو كان لي مثلُ هذا عملتُ فيه مثلَ الذي يعملُ. قال رسولُ اللهِ ﷺ: فهما في الأجرِ سواءٌ. ورجلٌ آتاه اللهُ مالًا ولم يُؤْتِه علمًا فهو يخبِطُ في مالِه يُنفقُه في غيرِ حقِّهِ، ورجلٌ لم يُؤْتِه اللهُ علمًا ولا مالًا فهو يقولُ: لو كان لي مثلُ هذا عملتُ فيه مثلَ الذي يعملُ. قال رسولُ اللهِ ﷺ: فهما في الوِزْرِ سواءٌ ".

" فهما في الأجرِ سواءٌ "

سبحانه يشكر لي نيتي إذا أردت الصيام ولم أستطع

وإذا أردت الانفاق ولم أستطع

وإذا أردت العمرة والحج ولم أستطع

بل يجعل أجري كمن استطاع وفعل

فكيف لا أحبه؟!

وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

ومن جميل صفات ربي الشكور أنه عليم بكل قول أو عمل صالح نفعله، لذا تجد أن اسم الله (الشكور) ارتبط في القرآن باسم الله (العليم)

قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ (البقرة:١٥٨)

فإذا فعلت الخير ولم تجد مردودًا أو شكرًا ممن قدمت لهم الخير

فلا تأسف ولا تحزن ولا تخف؛ فإن الله يعلمه وسيشكرك عليه مهما صغُر أو كبُر، فافعل الخير في أهله وفي غير أهله، ولا تنتظر الشكر من أحد، فرَبُّ الخير شاكر عليم، وهو عليم بكل شيء، ويشكر لنا كل شيء.

وارتبط أيضًا اسم ربي (الشكور) باسمه (الغفور)، قال تعالى:

﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾

(فاطر:٣٠)

سبحانه يغفر السيئات ويشكر على الحسنات، بل يزيدنا من فضله، فمهما كثرت ذنوبنا ثم توبنا وعمِلْنا أعمالًا صالحة فإنه يقبل صالح الأعمال ويشكرها لنا.

وأيضا بكرمه يغفر ذنوبنا وزلاتنا وعثراتنا، فلا تتوقف عن عمل الخير مهما كنت من المذنبين، فكلنا كذلك.

قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (الحج:٧٧)

ومعنى اسم الله (الشكور) لغةً هو المثيب للشاكِر على شكره والمجازي على الحسنة بأضعافها، والذي يزكو ويزيد عنده القليل من أعمال العباد فيضاعف لهم الجزاء، فشكره لعباده مغفرته لهم، فالشكور دومًا تعني الزيادة مهما كان ما قُدم قليلًا.

قال تعالى:

﴿ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ٢٣ ﴾ (الشورى:٢٣)

نُقدم القليل فيعُطينا الكثير سبحانه، نصيب حسنة فيزيد لنا فيها،

ويشكر لنا كل معروف نقدمه لإنسان أو حيوان أو طائر أو نبات،

يشكر لنا الابتسامة

يشكر لنا الرفق في التعامل مع من هم دوننا في العمل

يشكر لنا كلمة طيبة
يشكر لنا الصدقة ولو بنصف تمرة
يشكر لنا حبة نطعمها لطائر أو شربة ماءٍ لحيوان.

جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال:
" لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعروفِ شيئًا، ولو أنْ تَلْقَي أخاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ"

وجاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال:
"اتَّقُوا النَّارَ ولو بشِقَّةِ تَمْرَةٍ، فمَن لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ "

فسبحان ربي الشكور الذي يهبنا الكثير على القليل الذي نقدمه، سبحانه الذي يظهر ساطعًا جليًا لأصحاب الفطرة السليمة السوية

فقد عرفته أمّنا خديجة بنت خويلد وأدركت صفاته؛ إذ قالت للنبي ﷺ حين نزل من غار حراء خائفًا يرتجف من هول ما رأى في الغار وقال: زمِّلوني زملوني، فزمَّلوه حتى ذهب عنه الرَّوع، ثم قال: يا خديجة، ما لي؟ وأخبرها الخبر،
وقال: قد خشيتُ على نفسي،
فقالت له: كلا، أبشر، فو الله لا يخزيك الله أبدًا؛
إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ،
وتَقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

لقد عرفت أمنا خديجة بفطرتها السليمة أن الشكور لا يُضيعُ مَن يفعل الخير من صلة الرحم وصدق الحديث وقضاء حوائج الناس، فلماذا بعد ما جاءنا من القرآن والسنة النبوية لا نستشعر حب الله الشكور الذي نرى آياته وصفاته وقدرته سبحانه؟!

إن أعظم دلالة على عظمة ربي الشكور هي الجنة التي أعدها للصالحين والطائعين منا، الجنة التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، الجنة التي بها أنهار من عسل مصفى من جميع الشوائب، وأنهار من لبن، وأنهار من ماء غير متغير، وكل ما لذ وطاب من أشكال وأنواع الطعام، وقصور مشيّدة وحدائق ذات بهجة.

هذه الجنة التي عرضها السموات والأرض يُدخلها ربي الصالحين والطائعين ليعيشوا خالدين منعمين فيها مقابل طاعته بضع سنوات فقط، قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ ﴾ (التوبة:١١١)

وقال سبحانه:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ١١ ﴾ (البروج:١١)

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾ (آل عمران:١٣٣)

سبحانه يُهدي عباده جنة بهذه الصورة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، جزاء عبادته وطاعته عددًا قليلًا من السنوات، فسبحان ربي الشكور الذي يستحق العبادة ويستحق الحب وتطمئن بقربه القلوب.

قال جل في علاه:

﴿ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ ﴾ (إبراهيم: ٧)

يَعِدُنا الله الشكور المعطي الذي لا تنفد خزائنه أننا إذا شكرنا نعمه سيزيد عطاءه أكثر وأكثر، فعلينا أن نشكره على رحمتهِ وكرمهِ وستره ونعمهِ التي لا تُعد ولا تُحصى، والتي تلازمنا منذ ولادتنا.

قال تعالى:

﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾

(النحل: ٧٨)

وقال سبحانه:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (غافر:٦١)

فلا تكن من الكثير الذين لا يشكرون، وكن من القليل الذين يسبحون بحمد الله ويشكرونه آناء الليل وأطراف النهار، يشكرونه على السراء والضراء لثقتهم بالله وبأن كل قضائه خير.

جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال:

"عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ له خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له "

وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: "ما أصابني من ابتلاء من الله في غير الدين إلا كان لي فيه أربع نِعم:

أنه لم يكن في ديني (بمعنى أن أي ابتلاء في غير الدين هو هين)

وأنه لم يكن أعظم (فربما كان هناك أعظم من هذا الابتلاء، ولكن الله قدر لي الابتلاء الألطف)

وأني لم أُحرم الرضا به (بمعنى أن الله يرزقني الرضا به)
وأني أرجو ثواب الله عليه (بمعنى أن الله سيكافئني جزاء الصبر عليه).

فرحم الله عمر بن الخطاب وسائر الصحابة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه بما قدموا للإسلام وبما كانوا عليه من خير واتّباع دون ابتداع لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

قال تعالى:
﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠ ﴾
(التوبة:١٠٠)

قال سيدنا سليمان عندما شعر بعطاء ونعم الله عليه:
﴿ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ٤٠ ﴾ [النمل: ٤٠]

أي: مَن سيشكر الله على نعمه وفضله فسيشعر بقيمة الشكر لله في نفسه، فالذي يشكُر سيشعر بسعادة داخلية في نفسه،

والذي يُعطي سيشعر بسعادة داخله، ومن يُحسن إلى الناس يُحسن الله إليه.

قال تعالى:

﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠ ﴾ [الرحمن: ٦٠]

فسبحان ربي الشكور المُنعم الذي يستحق الشُكر ويستحق الحب وتطمئن القلوب بقربه.

أثر معرفة الله الشكور في حياتنا

نستلهم ونتعلم من اسم الله (الشكور) ثقافة الذوق التي هي أحد شروط إتقان مهارة فن الكلام، والتي دلالاتها الشكر بعد العمل، والاستئذان قبل الدخول وقبل الطلب، والاعتذار عند الخطأ، ومناداة الناس بأحب الأسماء إليهم، والنظر بكامل الوجه لمن يتكلم.

فشُكر من يقدم لك خدمة سواءً داخل بيتك أو خارجه، به نوع من اللطف والتقدير لمن قدم لك الخدمة سواءً كانت زوجتك أو أختك أو موظفًا لديك في العمل أو عامل البوفيه أو نادل المطعم، وهو أيضًا طاعة لله؛ فقد قال رسول الله ﷺ:

" من لم يشكرِ النَّاسَ لم يشكرِ اللَّهَ "

ثقافة الذوق

إن **ثقافة الذوق** يفقدها دون أن يشعر الشخص الذي لا يمارس دلالاتها مع أهل بيته وأصحابه المقربين ومن يقابلهم يوميًّا، والذين يمثلون ٩٠ % تقريبًا من معاملات الإنسان في حياته، ويجد نفسه عندما يتعامل مع نسبة العشرة بالمائة المتبقية مضطرًّا لتمثيل الذوق؛ لأنه لا يمارسه بشكل دائم، وإذا غضب عند تعامله مع أحدهم ظهر سلوكه الطبيعي وخلقه الدائم، وهو قلة الذوق.

لذا نجد أن خبراء الإدارة الذين يقومون بتدريب الموظفين الجدد في المؤسسات الكبيرة يقولون لهم: لا تفكر أنك جالس مع أحد عملاء الشركة أو مديرك، نريد أن ندربك على أنك جالس في منزلك؛ لأنك إذا نجحت أن تضع دلالات الذوق في الكلام والتعامل داخل منزلك، فعندما تتعامل في العمل وفي المجتمع لن تكون في حالة تمثيل لإظهار الذوق، ولكن ستكون إنسانًا ذا ذوق ورقي مع الجميع، وسيصدر هذا منك بشكل تلقائي.

من أكبر الأخطاء التي يقع فيها بعضنا إلغاء أو إهمال دلالات الذوق مع دائرة علاقاته المقربة والتي تسمى بـ "دائرة العشم"

لشعوره أنه ليس هناك ضرورة لشكرهم إذا قدموا لي خدمةً ما،

أو الاستئذان منهم عند طلب شيء ما منهم، أو الاعتذار لهم عند الخطأ في حقهم، وهذا مع تكرُّره ما يفسد العلاقات

ويخلق الفجوات ويجعل المرء منا يعتاد على قلة الذوق،

وتتحول من سلوك من دائرة العشم فقط إلى عادة، ثم تصير طبعًا مع الجميع لا يمكن التخلص منه.

الفرق بين السلوك والعادة والطبع

لكي تستطيع تغيير أمرٍ ما في حياتك أو في حياة شخص آخر، عليك أن تعرف ماهية هذا الأمر بدقة، هل هو سلوك أم عادة أم طبع؟

فسلوك شخصٍ ما يمكنك تغييره بحسن الطلب وبحكمة،

بمعنى متى؟ وأين؟ وكيف؟ وبأي كلمات أطلب منه تغيير هذا السلوك حتى يستجيب للطلب؟

أما العادة فتحتاج إلى وقت حتى تتغير، وتحتاج إلى خطة مناسبة للشخص وللعادة التي يمارسها.

أما الطبع فلا يمكن تغييره؛ لأنه صار جزءًا من شخصية المرء، ولكن يتم التعامل مع هذا الطبع بالطريقة التي تناسبه.

والفرق بينها في المعنى أن السلوك هو نشاط ما أو أمر يفعله الشخص به بشكل غير متكرر، ولكن إذا أقنعه شخص آخر بضرورة تغيير هذا الأمر، أو أن هناك طريقة أخرى أفضل للقيام بهذا الأمر، يغيّر هذا السلوك على الفور. مثال الشخص الذي يُعنف أولاده أمام زملائه، فإذا قالت له زوجته: إن هذا قد يؤثر على شخصية

أولاده سلبًا وعلى احترام زملائهم لهم، فيغيّر الشخص هذا السلوك بكل سهولة ويسر بمجرد أن يقتنع بالفكرة.

أما العادة فهي نشاط أو أمر يقوم الشخص به ويكرره دومًا

حتى يعتاد عليه ويصبح جزءًا من حياته اليومية، فيتحول من سلوك سهل التغيير إلى عادة تحتاج إلى خطة مناسبة لتغييرها. مثال على ذلك الشخص الذي يعتاد على الفحش في الحديث. فعندما يحاول أن يكون وقورًا ومهذبًا أمام بعض الناس تخرج منه بعض الألفاظ غير اللائقة دون قصد، ولا يستطيع التحكم في سلوكه هذا؛ لأنه أصبح عادة،

ومثال آخر: التدخين، وكثيرًا ما نسمع جملة (التدخين عادة سيئة)، ولا يقال عليه إنه سلوك؛ لأن المدخن يمارسها يوميًّا فأصبحت جزءًا من نشاطاته اليومية كالطعام والشراب، ولتغيير العادة نحتاج وضع خطة مناسبة لها ولقد شرحت هذا تفصيلا في كتابي:

" **عشها بسعادة فلم يخلقنا الله لنشقى** "، عند التحدث عن العادات،

ويمكننا تلخيص تلك الخطة في أنها تعتمد على تثبيت ثلاثة عناصر هي المكان والزمان والجهد. فإن أردتَ الإقلاع عن عادة سيئة، على سبيل المثال الإقلاع عن عادة التدخين، فاختر مكانًا محددًا تدخن به، وليكن شرفة المنزل؛ حتى لا تضر بقية أهل البيت،

ثم حدد الزمن، وليكن بعد تناول وجبات الطعام فقط،

ثم تحدد الجهد، وليكن تدخين سيجارة واحدة فقط بعد كل وجبة،

أو عدم التدخين في المنزل تماما لحماية أسرتي من آثاره السيئة والحفاظ على صحتهم، وبالتالي يكون المكان هو خارج المنزل فقط، والزمان من الصباح إلى الساعة الخامسة مثلًا، والجهد خمس سيجارات فقط في اليوم.

فإذا كانت إرادتك قوية واستطعت تثبيت المكان والزمان والجهد لمدة واحد وعشرين يوما، ستجد أنك أصبحت تتحكم في تلك العادة، وتستطيع تدريجيا أن تقلل الجهد أكثر فأكثر حتى تقلع عن تلك العادة تماما.

هذه الخطة يمكن تطبيقها على أي عادة تريد الإقلاع عنها بوضع خطة مناسبة تثبت فيها المكان والزمان والجهد.

أما الطبع فهو عبارة عن نشاط أو أمر يقوم به الشخص ويكرره مرات عديدة حتى يصبح عادة، ثم يكرر هذه العادة لسنوات طويلة ويقتنع بها ويصدقها حتى تُطبع على قلبه وعلى شخصيته فتصبح طبعًا لا يمكن التخلص منه تماما كالكلمات المطبوعة على ورقة إذا حاولنا إزالتها قد نقوم بإتلاف الورقة أو تمزيقها، وكذلك طِباع الناس التي اعتادوا عليها لسنوات إذا أردت تغييرها قد تؤذيهم دون أن تستطيع تغيير تلك الطِّباع، لذا علينا ألا نطمح لتغييرها، ولكن لحسن التعامل معها.

ولذا نجد الله تعالى يقول عن المنافقين الذين يستمعون لكلام النبي ﷺ من الدعوة للإيمان بالله وتغيير عقيدة الشرك التي هم عليها فلا يتقبلون كلامه أو يقتنعون به أو يلقون له بالًا:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ١٦﴾ (محمد:١٦)

إن السبب الحقيقي وراء معظم مشكلات العلاقات الزوجية في بداياتها هو رغبة الطرفين في تغيير طِباع الطرف الآخر دون التفكر والتدبر والعلم بأن الطِّباع لا تتغير، على حين نستطيع تغيير السلوك والعادات، أما الطِّباع فيتم التفكر في طريقة مناسبة للتعامل معها بتقبل ونفس راضية متفهمة أن ليس كل النشاطات التي يقوم بها الإنسان قابلة للتغيير.

مهارة الامتنان

ومن اسم الله الشكور نستلهم ونتعلم أيضًا مهارة الامتنان لله وللناس، والامتنان سلوك وفعل يتجاوز الكلمات، وهو أعمق في الوصف من الشكر؛ لأنه شعور دائم يحمل وعيًا تامًّا وإدراكًا كاملًا لكل ما يحدث لك في حياتك سواءً أكان خيرًا أم شرًّا، واستقباله بكل إيجابية ورضا تام ومحاولة الاستفادة منه قدر المستطاع.

ولكي تستشعر نعم الله عليك وتكون ممتنًّا له سبحانه وتعالى سجل في ورقة نِعم الله عليك من سمع وبصر وصحة وستر وعائلة وأمن وأمان ووظيفة، ولكي تكون أكثر امتنانا تذكرْ دائمًا ولا تنسَ شكر الناس على ما قدموه لك، وكن ممتنًّا لهم.

وهناك طريقة أخرى للشعور بالامتنان ينصحُ بها خبراء علم النفس الإيجابي، وفكرتها أن نكتب شيئًا يسمى خطاب الامتنان، وذلك بأن نختار شخصًا أثّر في حياتنا مثل الأب أو الأم أو الأخ أو الأخت أو الزوج أو صديق، ونكتب له خطاب امتنان.

ويقترح الخبراء أن يحوي الخطاب قرابة ثلاثمائة كلمة بمعنى صفحة أو أكثر، ونذكر ما نشعر به تجاهه، فكلما كتبنا وشكرنا الآخرين شعرنا بالشكر والنعم داخلنا.

فكن ممتنًّا لله شاكرًا لأنعمه كي تجد ذلك داخلك في راحتك النفسية، وسلامك الداخلي، ولكي تشعر بالسكينة والطمأنينة التي يبحث عنها كثيرون في عيادات الأمراض النفسية.



أحبك ربي لأنك الرزاق

تعهَّدَ ربي وفرض على نفسه رزق جميع مخلوقاته
من بشر وحيوانات وطيور وما لا نعلم من الكائنات
منذ خلق الأرض سبحانه وتعالى
قدر لها ما تحتاجه من القوت، أي الرزق.
سبحانه قال حين كانت البشرية بضعة ملايين نسمة:

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾
[فصلت: ٩-١٠]

والآن وقد تجاوز البشر ثمانية بلايين نسمة
ما زالت موارد الأرض تكفيهم، ورزقه يشملهم
سبحانه ضمن لي رزقي ورزق جميع مخلوقاته

فكيف لا أحبه؟!
وكيف أخاف فوات الرزق؟!
وكيف لا يطمئن قلبي به سبحانه؟!

ولأنه الرزاق

فرزقه لعباده غير مشروط

يرزق من يؤمن به ومن لا يؤمن

يرزق المطيع والعاصي، البر والفاجر

دعاه سيدنا إبراهيم أن يرزق المؤمنين فقط فقال:

﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم ﴾ [البقرة: ١٢٦]

فرد الرزاق ذو القوة المتين قائلا:

﴿ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾ (البقرة:١٢٦)

سبحانه لم يربط رزقه بعبادته والإيمان به

ولم يربطه بكثرة الأعمال الصالحة،

بل كتب على نفسه رزق جميع الدواب

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (هود:٦)

سبحانه كيف لا أحبه؟!

وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

ولأنه الرزاق

الذي يرزق كيف يشاء ومتى يشاء

شاء سبحانه أن يجعل بعضنا سببا للآخر

فيعمل هذا لدى ذاك لكي يصله رزق الله

ولأن بعضنا قليل المعرفة بالله

يظنون أن رزقهم من هؤلاء

فيتوددون إليهم بمذلةٍ بُغية طلب الرزق

ويجهلون أن الله سبحانه وتعالى ضمن أرزاقهم

وأنه سبحانه خلقهم كرامًا ويريدهم كرامًا

وأن يتجملوا في طلب رزقهم المكتوب

قال رسول الله ﷺ:

" إنَّ رُوحَ القُدُسِ نفثَ في رُوعِي، أنَّ نفسًا لَن تموتَ حتى تستكمِلَ أجلَها، وتستوعِبَ رزقَها، فاتَّقوا اللهَ، وأجمِلُوا في الطَّلَبِ"

فكيف لا أحبه؟!

وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

ولأنه الرزاق

الذي خلق النفوس ويعلم مكنوناتها

ويعلم ضَعفها وما فُطِرت عليه

من استعجالٍ للرزق قد يقودها للحرام

فيأكل الناس أموال بعضهم بعضا

ويتهاونون في الرِّشى والتعامل بالربا

وينشغلون عن عبادته طلبًا للرزق

قال لهم كي تسكُن وتطمئن قلوبهم:

﴿ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (الجمعة:١١)

وأوحى إلى نبيه أن ينصحنا بعدم استعجال الرزق فقال:

"لا يَحمِلَنَّ أحدَكم استبطاءُ الرِّزق أن يطلُبَه بمَعصيةِ اللهِ، فإنَّ اللهَ تعالى لا يُنالُ ما عندَه إلَّا بِطاعَتِهِ "

فكيف لا أحبه؟!

وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

ولأنه الرزّاق

كفل لنا بعض الرزق من دون عناء ولا جهد منا

والرزق لغةً هو القسمة، فما قُسم لك فهو رِزقك؛

فالعين التي نبصر بها رزق

والأذن التي نسمع بها رزق

والصحة لمن يعقل هي أكبر رزق

كما أن الأب الودود رزق

والأم الحنون رزق

ودفء العائلة وترابطها وتراحمها رزق

والعقل الذي نفكر به ويميزنا عن سائر المخلوقات رزق

والحكمة التي بها نُصيب في القول والفعل رزق

قال سبحانه:

﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ (البقرة:٢٦٩)

فسبحانه الرزاق كيف لا أحبه؟!

وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

أثر معرفة الله الرزاق في حياتنا

إن اليقين بأن الله هو الرزاق وبأن أرزاقنا لن يأخذها غيرنا

يمنحنا السكينة والرضا بما هو كائن، والسعي إلى الرزق بكرامة وبعزة دون مهانة أو تذلل في طلب الرزق؛

فالله سبحانه ضمن لنا الرزق، ولكن أمرنا بالسعي والاجتهاد في طلبه والأخذ بالأسباب مع التوكل على رب الأسباب.

قيل لـ حاتم الأصم: من أين تأكل؟

فقال: من عند الله.

فقيل له: أيُنزل الله لك دنانير من السماء؟

فقال: وكأن ما له إلا السماء!

يا هذا، الأرض له والسماء له،

فإن لم يُؤتِني رزقي من السماء، ساقه لي من الأرض،

ثم أنشد قائلًا:

وكيف أخاف الفقر والله رازقي... ورازق هذا الخلق في العسر واليسر

تكفَّلَ بالأرزاق للخلق كلهم ... والضبُّ في البيداء والحوت في البحر

كن على يقين أن الذي خلق البطن الذي يجوع
خلق له الطعام الذي يَسُد رمقه
والذي تكفّل بهواء نَفَسِك اليومي
قادر على أن يتكفل برزقك المادي
والذي رزق الخلائق منذ بداية الكون
قادر على رزقك اليوم وغدًا وبعد غد
لأنه كتب على نفسه بعد أن خلقنا أنه سيرزقنا
قال سبحانه:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾

(الروم:٤٠)

فرَزَقَك ورَزَقَك جميع المخلوقات
قدَّره الله قبل خلق السموات والأرض
ولن تموت نفْسٌ حتى تنال رزقها
جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال:
" كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ "

كن مطمئنًّا أن رزقك يطلبك كما تطلبه؛
فاللقمة التي كتبها الله لك لن يأكلها غيرك
فكما أن كل إنسان ينطق عن حاجته بنفسه
ولا يمكنه النطق عنها بلسان غيره،
كذلك كل إنسان لا يأكل إلا رزقه،
ولا يمكنه مهما فعل أن يأكل رزق غيره
وكما لا يستطيع أحد أن يهرب من الموت
لن يستطيع أحد أن يهرب من رزقه،
ولكن كل شيء عند الله بقدر وميقات

يقول الشاعر:

المرء يسعى ويسعى الرزق يطلبه.. وربما اختلفا في السعي والطلبِ
حتى إذا قدّر الرحمن جمْعهما.. للاتّفاق أتاك الرزق عن كثبِ

يُحكى أن شابًّا كان يتعلم العلم الشرعي عند شيخ في قرية،

وبدأ الرزق في هذه القرية يخِفُّ ويضيق، وبدأ أهل هذا الشاب يضغطون على ابنهم كي يبحث عن عمل جديد في قرية أخرى، فأحوالهم تسوء ولا يوجد معيل لهم سواه.

فذهب التلميذ مضطرًّا إلى شيخه يخبره أنه ينوي مغادرة القرية للبحث عن رزق يعول به أهله ونفسه، وكان الشاب نشطًا في العلم والتعلم، لكن الشيخ شجعه على المغادرة وطلب الرزق، وأخبره أن طلب الرزق عبادة، فهي تغني عن الحرام والتواكل والحاجة إلى الناس.

وفي الطريق رأى التلميذ طيرًا كَسيحًا يرقد على الأرض وهو على قيد الحياة، فتعجّب التلميذ لحال هذا الطير وكيف يعيش وهو مكسور الجناح؟!

وبدأ يراقب الطير، فإذا بطير آخر صحيح يأتي بالطعام ويضعه في فم الكسيح، فقال التلميذ في نفسه: سبحان الذي يرزق طيرًا كسيحًا في صحراء. وقرر أن يرجع إلى قريته حيث يتعلم.

لاحظ الشيخ أن التلميذ ما زال موجودًا ولم يغادر القرية،

وبعد الدرس سأله عن سبب وجوده،

فقال له: لقد رأيت في الطريق طيرًا صحيحًا يُطعم طيرًا كسيحًا حتى لا يموت، فقلت في نفسي: الذي يطعم طيرًا كسيحًا في الصحراء قادر على أن يطعم أسرتي ويطعمني.

ورغم أن التلميذ قد صدّق أن الله قادر أن يرزق مخلوقاته في أي مكان وفي أي حالة وأن رزقه الذي كتبه له سيأتيه لا محالة،

فإن شيخه قال له جملة رائعة يجب أن تقال لكل شاب:

يا بني، لِمَ اخترت أن تكون الطير الكسيح،

ولَمْ تخترْ أن تكون الطير الصحيح؟!

وفي القصة إشارة إلى أن الرزق الذي كتبه الله لجميع مخلوقاته سيصلهم بطرق متعددة حتى الطير الكسيح سخر الله له طيرًا صحيحًا كي يطعمه ويُوصل إليه رزقه الذي كتبه الله له.

ولكن مقولة الشيخ البليغة ترشدنا إلى عدم انتظار الرزق، بل السعي والاجتهاد في طلبه كما أمرنا الله تعالى:

﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥ ﴾

(تبارك:١٥)

ليس كل الرزق مالًا

أرسل الفضيل بن عياض - الذي عُرف بعابد الحرمين لكثرة عبادته وإقامته بالحرمين الشريفين في مكة والمدينة - رسالة إلى الإمام مالك بن أنس قال فيها:

يا إمام، أراك انشغلت بتعليم الناس عن العبادة،
ولو تفرغت للعبادة لكان خيرًا لك،
فرد عليه الإمام مالك قائلا:
" يا إمام، إن الله وزّع الأرزاق، والأرزاق ليست الأموال فقط؛
فمنهم مَن حُبب إليه الصدقة، ومنهم من حُبب إليه العلم،
ومنهم من حُبب إليه العبادة، ومنهم من حُبب إليه الجهاد،
وكلٌّ مُيسَّر لما خُلق له ".

إن التقرب إلى الله سبحانه وتعالى لا يكون عن طريق العبادات فقط؛ فقد يصل شخصٌ ما بالمال إلى درجةٍ من رضا الله لا يصلها الصائم القائم، وقد يصل شخص آخر من خلال الإعلام ونشر الحق والصدْع به إلى درجة أعلى من العابد الذي لا يفارق المسجد، فاجعل ما رزقك الله من نِعم وقدرات ومهارات سبيلك للتقرب منه ونيل رضاه سبحانه؛ لأن كل ما أنت فيه هو رزق من عند الله.

ومن الرزق الذي يتغافل عنه كثير من الناس الزوجة الصالحة رغم أنها من أكبر النعم وأعظم الرزق، وهي التي صفاتها أن تسرك عند النظر إليها، وتراعي احتياجاتك وتهتم باهتماماتك، وتحفظك في غَيبتك، وتحفظ مالك، وتربي عيالك، وتعينك على عثرات الحياة ومعوقاتها، وتوصيك بأهلك خيرًا، وتعينك على طاعة الله، لذا قال النبي ﷺ عن تلك الزوجة:

" الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ "

وأوصى النبي الشباب بحسن اختيار الزوجة؛ لأنها عماد الأسرة ومنبع الدفء ومربِّية الأجيال القادمة فقال ﷺ:

" تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأرْبَعٍ: لِمالِها، ولِحَسَبِها، وجَمالِها، ولِدِينِها، فاظْفَرْ بذاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَداكَ "

أي: فاحرص على اختيار صاحبة الدين كي تفوز بمن تعينك على الحياة وصعوباتها وتعينك على الطاعة فتفوز في الدنيا والآخرة.

والزوج الصالح أيضًا رزق، وقد حث النبي ﷺ على اختيار الرجل الصالح لبناتنا فقال: **" إذا خَطَب إليكم مَن تَرْضَوْنَ دِينَه وخُلُقَه فزَوِّجُوه، إلا تفعلوا تَكُنْ فِتْنَةٌ في الأرضِ وفسادٌ عريضٌ "**

وقال الإمام على بن أبي طالب رضي الله عنه:

" زوج ابنتك التقيّ؛ فإن أحبَّها أكرمها، وإن كرِهها فلن يظلمها".

إن رزق الله سبحانه وتعالى يأتي على صورتين؛ فمنه من يأتي دون سعي أو بذل أي جهد، ويكون عطاءً من الله كالوالدين وإخوتك ومكان ولادتك وصحتك،

ومنه ما يأتي مقابل سعيك وجهدك وبذْلك كالمال والمنزل والسيارة والمنصب، وحتى حب الناس يحتاج لبذل العطاء والمودة والمصداقية والتسامح.

فرزق الله متعدد ومتنوع، وليس كله مالًا، ولكن يحتاج ذا قلب سليم؛ لكي يراه ويستشعره ويقدّره ويشكر الله عليه.

إن الرزق يرتبط بما نحتاجه، وليس بما نريده؛ فهناك آيات تشير إلى أن الله تعالى يبسط الرزق ويقدره، وتقترن آيات الرزق دومًا باسمي (العليم الخبير)،

قال تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (الزمر:٥٢)

فالله سبحانه وتعالى يبسط الرزق لمن يشاء، فيُعطيه أكثر من حاجته، ويقْدِر الرزق، أي: يقلله لمن يشاء، طبقًا لحاجة المرء وما يصلحه؛ فبعض الناس زيادة الرزق له خير، وبعضهم زيادة الرزق له شر، لذا فالله بحكمته يرزق كلًّا حسب حاجته وما يصلحه، فكن على يقين أن ما رزقك الله به هو الخير لك، وما فاتك من زواج أو تجارة أو فرصة عمل، لم يكن لك فيه الخير، فلا تحزن وكن من الشاكرين.

إن اليقين بأن الله هو الرزاق وهو المغني يجعلنا نعيش بكرامة، ولا نتوسل لأحد لطلب الرزق، ولا نهين أنفسنا لأحد، ونُجْمل في الطلب دون تذلل، ولا ننشغل بطلب الرزق عن الرزاق، ولا بالنعمة عن المُنعم سبحانه.

لقد ضمِن الله تبارك وتعالى لنا الأرزاق، ولكنه غَيَّب عنا الأوقات؛

ليختبر إيمان الناس وصبرهم، فلا تكن من الراسبين في اختبار الصبر على الرزق، فالناس بقدر تفاوتهم في معرفة الله، يتفاوتون في اليقين به وبأنه الرزاق والوهاب والفتاح، ويتفاوتون في الرضا والصبر والتوكل عليه سبحانه.

إن كلمة الرزق ترتبط دومًا بالشكر لله سبحانه تعالى:
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ ﴾ (البقرة:١٧٢)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١٧ ﴾ (العنكبوت:١٧)

قال رجل عند عمر بن الخطاب يدعو الله:
" اللهم اجعلني من القليل "
فقال عمر: ما هذا الذي تدعو به؟، فقال له: إني سمعت الله يقول:
﴿ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣ ﴾ (سبأ:١٣)

فهذا الذي يعرف معنى الشكر ويشعر برزق الله وفضله يعيش سعيدًا مطمئنَّ القلب بعكس من لا يشكر الله فلا يجد بركة في رزقه ولا سعادة في حياته، فالله يبارك للشاكرين ويزيدهم من فضله،

قال جل في علاه:

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (إبراهيم:٧)

وكان من دعاء الصالحين:

" اللهم عرِّفْنا نِعمك بدوامها، ولا تعرِّفْنا نِعمك بزوالها "

فبعض الناس لا يعرف قيمة نعمة الصحة إلا بزوالها، والبعض لا يعرف قيمة نعمة العلاقات وحب الناس إلا عندما تزول، وآخرون يستخدمون النعم في الفساد مثل الأكل والشرب بنشر الرشوة أو بيع الطعام الفاسد

قال تعالى:

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾

(البقرة:٦٠)

مهارة العطاء

من المهارات التي نستلهمها ونتعلمها من اسم الله (الرزاق) مهارة العطاء التي هي إحدى مهارات الذكاء العاطفي، فالله الغني لا تنفد خزائنه، ويحب أن ينفق الناس مما رزقهم إياه، فمن رُزق بمال ينفق من ماله، ومن رُزق بالعلم ينفق من علمه بتعليمه للناس.

لو تأمّلنا الرزق في القرآن الكريم سنجد أنه يرتبط دائمًا بالإنفاق والعطاء والبذل، قال تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ (البقرة:٢٥٤)

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾ (البقرة:٢٦٢)

﴿ وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ ﴾ (النساء:٥)

﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ ﴾ (النور:٣٣)

﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩ ﴾ (سبأ:٣٩)

يُبين الله تعالى لنا في تلك الآيات الكريمة حقيقة ما نملك من مال، وهي أن هذا المال هو لله، وقد استخلفَنا عليه واستخدمَنا وأمرنا بالإنفاق والبذل والعطاء، ويبين لنا جزاء الإنفاق من أجر عظيم في الآخرة، ومن بركة وفضل وزيادة في الدنيا.

جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال:
" ما مِن يَومٍ يُصْبِحُ العِبادُ فيه إلَّا مَلَكانِ يَنْزِلانِ، فيَقولُ أحَدُهُما: اللَّهُمَّ، أعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، ويقولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ، أعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا "

فلا تضيعْ على نفسك نعمة إصابة هذا الدعاء كل يوم، وأنفق ولو القليل، وكن على يقين أن الله سيخلفه وسيزيدك من فضله؛ فهو خير الرازقين سبحانه.

لقد اصطفى الله الإنسان عن باقي الكائنات، وأعطاه حرية الإعطاء أو المنع؛ فلا الشجرة تملك أن تمنع ثمرها، ولا الماء بيده ألا يروي الأرض، ولقد جعل الله سلامة هذا الكون في العطاء، واضطرابه في الإمساك والمنع، وعلق الأمر به مباشرة فجعل العطاء تجارة معه سبحانه حتى لا يختل هذا النظام.

قال تعالى:

﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠ ﴾ (الأنفال:٦٠)

سُئل أحد الصالحين: لماذا تعطي الفقراء؟، لماذا لا تدّخر مالك لعيالك؟

فقال: عودني الله تعالى عادة أنه يرزقني ويرزقني ويرزقني، وأنا تعودت أن أعطي هؤلاء، فأخاف أن أقطع عادتي عن عباده فيقطع عادته عنّي.

إن العطاء يجب أن يكون لمستحقيه سواء كنا نحبهم أو لا نحبهم امتثالا لقول الله تعالى:

﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ ﴾

(الإنسان:٨)

فهل يكون الأسير إلا من جيش العدو؟، إذن فالله الرزاق يأمرنا أن نُطعم ونُعطي كل محتاج سواء كان من بني جلدتنا أو من أعدائنا،

فسبحانه الرزاق الرحيم بجميع خلقه حتى من كفر منهم.

ولطلب الرزق ينشغل بعضنا أحيانًا عن الله وعبادته والتقرب إليه، فيبين لهم الله أربح وأنفع تجارة فيقول:

﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾

(الصف:١٠،١١)

الرضا بما قسمه الله

إن اليقين الحقيقي بأن الله هو الرزاق والوهاب والفتاح سيبني لدينا أفكارًا وقناعات، هذه القناعات ستساعدنا على ضبط بوصلة أفكارنا، وبالتالي مشاعرنا، وبالتالي سلوكنا، فعندما نفهم معنى (الرزاق) سنتعامل بشجاعة مع مشاعر الخوف، وتحديدًا الخوف من فوات الرزق أو خسارة رزق موجود لدينا بالفعل، وسيحل محله شعور بالاطمئنان بأن رزقي لن يأخذه غيري.

قيل للحسن البصري رحمه الله: ما سر زهدك في الدنيا؟
فقال: علمت بأن رزقي لن يأخذه غيري فاطمأنَّ قلبي له،
وعلمت بأن عملي لا يقوم به غيري فاشتغلت به،
وعلمت أن الله مطلع عليَّ فاستحييت أن أقابله على معصية،
وعلمت أن الموت ينتظرني فأعددت الزاد للقاء الله.

وشعور الرضا يأتي مِن تأدُّبنا مع عطايا الله سبحانه وتعالى،
فإذا رضينا وآمنا بأنه الرزاق إيمانًا عميقًا سينتهي الحسد والتحاسد والحقد والتحاقد، وتختفي الغيرة من فلان الذي يملك كذا وكذا، وفلانة ذات الجمال والمال والنسب، وسنعمل بجد لتحقيق أقصى ما يمكن أن نحققه دون أن نلجأ إلى استغلال الناس واستغلال حاجة الناس، ودون الحاجة إلى احتكار التجارة.

وإيماننا بأن الله هو الرزاق، وأنه صاحب الفضل في كل ما نملك من نعم يوجب علينا الشكر والامتنان له على نعمه، والذي بدوره سيبعث في النفس الطمأنينة والسلام الداخلي.
وأيضًا سيزيد العطاء في المجتمع؛ لأننا سننفق ابتغاء مرضاة الرزاق الذي وهبنا الرزق وأمرنا أن نعطي.

وسيسود بيننا التواضع ولن يتكبر أحد على أحد بنعمة أنعمها الله عليه سواءً كانت مالًا أو منصبًا أو جمالًا؛ لأن هذا كله رزق من الله.

إن الرضا بأرزاقنا يمنحنا مهارة القدرة على التحكم في النفس، وألا ننظر إلى رزق الآخرين وما في أيديهم، بل نعمل ونجتهد ونطلب من الله الرزاق الذي لا تنفد خزائنه ما نتمنى من خيرَيِ الدنيا والآخرة.

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾ (القصص:٧٨)

هذا ما قاله قارون لقومه الذين وعظوه فقال لهم: إنما أُوتيتُ هذه الكنوز على فضل علم عندي، علِمه الله مني، فرضي بذلك عني، وفضلني بهذا المال عليكم، لعِلمه بفضلي عليكم.

فزيادة الرزق أحيانًا قد تؤدي إلى الغرور، وهذا ما حدث لقارون الذي تكبر على قومه وتجبر ونسب الرزق لنفسه وسار بين الناس مختالًا فخورًا.

قال تعالى:

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩ ﴾

(القصص: ٧٩)

ولننظر كيف أن هناك في كل زمان ومكان فئة من الناس ضِعاف النفوس غير راضين عن رزق الله لهم، هؤلاء عندما رأوْه في زينته انبهروا وتمنَّوا أن يكونوا مثله، نسوا الرزاق وقالوا: إنه لذو حظ عظيم.

وكان هناك أيضًا المؤمنون بأن الله هو الرزاق، الذين آتاهم الله العلم فلم يتأثروا أو يعنيهم ثراء قارون وزينته:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠ ﴾

(القصص:٨٠)

وهنا وقفة قد نراها في رجال الدين الذين يَصْدعون بما لا يعلمون أحيانًا، منهم من هو قارئ وصوته جميل في تلاوة القرآن، ومنهم من هو عابد لله كثير الصلاة والصيام والقيام، وهؤلاء يجب ألا يتم الرجوع لهم عند طلب الفتوى وفهْم مراد الله في بعض أمور

حياتنا؛ لأنهم ليسوا من أصحاب العلم، ولكن الله اختصهم بنِعَمٍ أخرى.

ومن أمثلة أخطاء بعض رجال الدين غير العلماء حثُّ الناس على الفقر والرضا بالفقر، ومدْح الفقر وكأنه من الدين، رغم أن النبي ﷺ قال كما في صحيح البخاري:

" إنَّكَ إنْ تَرَكْتَ ولَدَكَ أغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِن أنْ تَتْرُكَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ"

لقد أمرنا الله بالاهتمام بالدنيا والتمتع بها دون أن نجعلها في قلوبنا،

وأمرنا بالنجاح فيها وطلب الرزق والسعي للعيش الطيب واللباس الجميل والتمتع بنعمه سبحانه وتعالى دون إفساد أو طغيان،

قال تعالى:

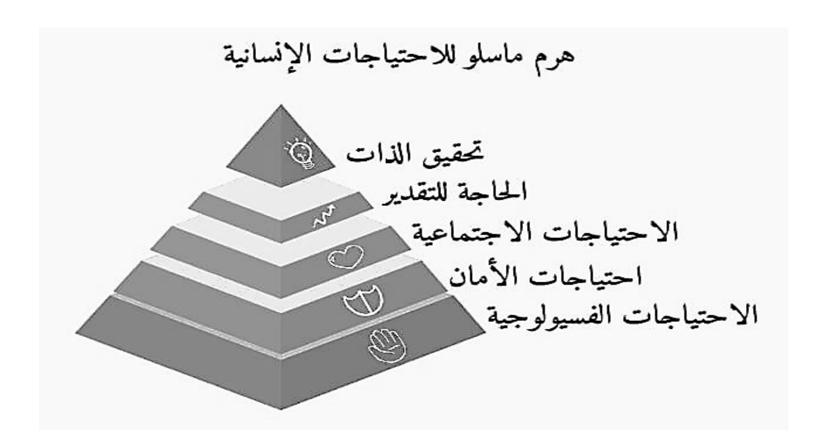
﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٧٧ ﴾

(القصص:٧٧)

وقال النبي ﷺ:

" نِعمَ المالُ الصَّالحُ للرَّجلِ الصَّالحِ "

هرم ماسلوا لاحتياجات الإنسان
Maslow's hierarchy of needs



هو بيان لاحتياجات الإنسان حسب أهميتها، تبدأ من الأسفل إلى الأعلى؛ فقاعدة الهرم هي الحاجات الفسيولوجية، أي: الجسدية التي لا غنى عنها لأي إنسان مثل التنفس والطعام والماء والنوم والإخراج.

فإذا تمّتْ تلبيتها تظهر حاجة الإنسان إلى الأمان، أن يشعر بالأمان على حياته ثم ممتلكاته، والأمان الأسْري والأمان الوظيفي، فإذا تمت تلبيتها تظهر حاجة الإنسان إلى الاحتياجات الاجتماعية مثل العلاقات الأسْرية والصداقة والألفة.

فإذا تمت تلبيتها تظهر حاجته إلى التقدير مثل تقدير الذات والثقة بالنفس واحترام الآخرين والاحترام من الآخرين. ثم تأتي حاجته إلى تحقيق الذات عن طريق الابتكار وحل المشكلات والإنجاز وتقبُّل الحقائق.

وشعور أي إنسان بعدم القدرة على تلبية تلك الحاجات في مجتمعٍ ما تقوده إلى كُرْه هذا المجتمع، وهذا سيؤدي إما إلى الانعزالً وتعاطي المخدرات أو التطرف والإرهاب، أو أن يذهب للجريمة لأخذ حقه الذي يرى أن المجتمع حرمه منه كإنسان له احتياجات كباقي البشر.

وتعد أحد أهم عناصر تدمير المجتمعات هو جعل أفراده يشعرون بعدم الرضا، وأنهم غير مقدَّرين في مجتمعاتهم ولا يحصلون على احتياجاتهم الأساسية، فيتولد داخلهم حالة من الكره والنقمة والغضب على مجتمعهم، وهنا تظهر أهمية انتشار مهارة العطاء وثقافته في المجتمع حتى نحافظ عليه ونضمن تلبية الاحتياجات الأساسية للجميع.

إن العطاء والبذل والإنفاق شكرٌ لله على رزقه وتزكية للنفس حتى لا تتعلق بالمال، وهو كما تقدم حماية للمجتمع كله، فالله العزيز الرحيم الرزاق لم يأمرنا إلا بما فيه الخير لنا أفرادًا ومجتمعات.

كان هناك رجل عجوز مريض داخل مستشفى لا يزوره إلا ابنه، وكان يأتيه كل يوم عدة مرات ويأتي له بالطعام وكل ما يحتاجه، فتعجبت إحدى الممرضات من حب هذا الشاب لأبيه وبره به، فذهبت للرجل المريض وقالت له: هنيئًا لك بهذا الولد البار

فقال لها الرجل المريض: إنه ليس ابني.

فتعجبت وقالت له: إذن، مَن هذا؟

قال لها: إن هذا شابّ يتيم يعيش في الحي الذي أسكن فيه، وحين توفي أبوه منذ سنين كان صغيرًا ولم يكن له أهل وجلس يبكي في الطريق، ولأني لست في بحبوحة من العيش ولا أملك إلا القليل لم أستطع أن أساعده أو أفعل له شيئًا إلا أني ذهبت إليه واحتضنته وأعطيته قطعة حلوى. وبعدما كبر ونضج وصار شابًّا يعمل ويكسب، أصبح هو من يوفر لي كل ما أحتاجه ويزورني من حين لآخر ويقول لي مبتسمًا: يا عم، ما زلتُ أذكر طعم تلك الحلوى.

هذا ما يفعله العطاء، يورث الحب والدفء والتراحم للمجتمع، فكن شاكرًا لله على أرزاقه وأنفقْ مما أنعم الله عليك مهما كان قليلًا، وستجد مردود ذلك عليك عظيمًا، فالله لا ينسى أي خير تقدمه للناس، واعلم أنك تقدمه لنفسك، وأن الله سيجزيك عنه خيرًا.

قال تعالى:

﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾ ﴾

(المزمل:٢٠)

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله:
إن شكر النعمة لله يكون بطرق ثلاث:
أولها: الامتنان بها باطنًا (أي أن تشعر داخلك بذلك)
ثانيًا: التحدث بها ظاهرًا (امتثالا لقول الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ [الضحى: ١١] وبالإكثار من قول: الحمد لله)
ثالثًا: تصريفها في مرضاة الله (بأن نستخدم نِعم الله في طاعته لا في معصيته).

إن الإيمان القوي بأن الله هو الرزاق وأنه يرزق لسبب، وأحيانًا بغير سبب، يجعلنا في حالة من الرضا والتفاؤل وتوقُّع الأفضل وحسن الظن الدائم بالله، وحسن الظن عبادة مطالب بها كل مسلم موحد بالله، قال تعالى في حديثه القدسى:
" أنا عند ظنِّ عبدي بي فليظُنَّ بي ما شاء ".



أحبك ربي.. لأنك الملك

إن ربي مُلكه دائم، وسُلطانه قائم
يعطي المُلك المؤقت لمن يشاء
وينزعه نزعًا ممن يشاء.
يأمر الشمس أن تشرق.. فتشرق
ويأمرها أن تغرب.. فتغرب،
يأمر الأرض وبقية الكواكب والأقمار
أن تسبح في أفلاك حول الشمس.. فتسبح
والكون يأمره أن يتسع ويتمدد.. فيفعل
لا يُشاركه أحد في أمره ولا في حُكمه
يأمُر فيُطاع، أمره بين الكاف والنون
يقول سبحانه للشيء: كن فيكون.

فكيف لا أستقوي به؟!
وكيف لا يطمئن قلبي بعبادته؟!

ولأنه الملك

يرفع أقوامًا ويضع آخرين

ويداول الأيام بين الناس كيفما يشاء

من فهِم سننه وقوانينه ارتقى

ومن تجاهلها وتخلف عنها شقي

يعطي على قدر الجهد بقدرته

وقد يمنع عن مجتهد لحكمته

لأنه أعلم بما ينفع وما يصلح عباده

ولا يعلم الغيب إلا هو

يرزق الإنسان الضعيف رغم ضعفه

ويمنع رزقه عن القوي رغم قوته؛

لأن عطاءه ابتلاء، ومنعه ابتلاء

وطوبى لمن صبر على بلائه.

قال سبحانه:

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر:١٠)

فكيف بي لا أصبر؟!

وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

ولأنه الملك

يستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود
فهو الأول والآخر، وهو رب الوجود
فلا حاجة له في طعام أو ماء
ولا حاجة له أن ينام أو يستنشق الهواء
لا يخاف سبحانه، ولا يحزن ولا يصيبه داء
ويدبر الأمر بحكمته في البر والبحر والسماء
ولا يدير شؤون خلقه سواه
ولا رازق في كونه إلا هو
ولا نصر ولا عزة إلا في حماه.
من لجأ إليه فقد لجأ لركن شديد
يُرسل الطوفان إذا شاء، وإذا شاء ألان الحديد.

فكيف لا أستقوي به؟!
وكيف لا يطمئن قلبي بعبادته؟!

ولأنه الملك

هو الذي بيده مقاليد ومفاتيح كل شيء
القادر على التصرف كيفما شاء ووقتما شاء
لا يزول ملكه ولا ينازعه فيه أحد.
يعطي مُلك الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب،
ولكن لا يعطي ملك الآخرة إلا لمن يحب.
إذا شاء أهلك؛ فلا راد لقضائه ولا منازع
ولا خصوم ولا معارضين ولا منتقدين.

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الحشر:٢٣)

فإذا كان ربي ملكًا عزيزًا مهيمنًا على كل شيء.
فكيف لا أستقوي به؟!
وكيف لا يطمئن قلبي بقربه؟!

ولأنه الملك

فهو صمد ترجع إليه الخلائق لقضاء حاجتها
وهو الباقي الدائم بعد فناء الأرض ومخلوقاتها
ترجع كل الأمور إليه
وتُقضى الحوائج بأمره وإرادته
ووحده مَن يستحق أن نقصده لقضاء حوائجنا
فلا يجري في الكون شيءٌ إلا بعلمه.
هو القريب إذا قصدناه في الرغائب
وهو المجيب إذا استغثنا به في المصائب،
يحوجنا بعض الأوقات حبًّا
حتى ندعوه ونرجع إليه؛
لأنه الملك والصمد المقصود بقضاء الحاجات
والذي لا ملجأ ولا منجا منه إلا إليه.

فكيف لا أستقوي به؟!
وكيف لا يطمئن به قلبي؟!

ولأنه الملك

فهو المهيمن على مقاليد السموات والأرض
يراقب كل شيء، وشاهد على كل شيء
ويسيطر على كل شيء، ولا يعجزه شيء.
القادر الذي لم يَقْدُرْه الناس حق قدره.
قال تعالى:

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (الزمر:٦٧)

وقال جل في علاه:
﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (فاطر:٤٤)

هو رب المستحيل ورب الأحلام والطموحات
فإذا أراد شيئا يسر له أسباب حدوثه
ولا يُعجزه شيءٌ في السموات ولا في الأرض.
فكيف لا أحبه؟!
وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

ولأنه الملِك الذي له كل شيء، وبيده كل شيء، سيحاسبنا سبحانه على جميع أعمالنا صغيرة كانت أم كبيرة، فمن أحسن فقد أحسن لنفسه، ومن أساء فعليها، وعلينا أن نستعد لمقابلة ملك الملوك ذي القوة والجبروت، الذي عندما تجلى سبحانه للجبل تفتت وصار ترابًا من هيبته وخشيته وصُعق سيدنا موسى من هيبة ما يحدث للجبل، وهو من هو من الأنبياء، كليم الله، ومن أولي العزم من الرسل، ومن أحب خلق الله إليه، قال عنه سبحانه:

﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾

(الأعراف:١٤٤)

وقال عنه في سورة طه: ﴿ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ۝٤١ ﴾ (طه: ٤١)

أي: اصطفاه واجتباه رسولًا وصَفيًّا له، ورغم ذلك صُعق وسقط مغشيًّا عليه عندما تجلى الملك سبحانه وتعالى للجبل.

قال جل شأنه:

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ ﴾ (الأعراف:١٤٣)

فإذا كان موسى الذي اصطفاه ربه
أُغشي عليه من هيبة تجلِّي ربه للجبل
فكيف بنا نحن الضعفاء عند لقائه
وقد خلطنا عملًا صالحًا وآخر سيئًا؟؟!
ولكن رجاءنا عند اللقاء أن نأتي بين يديه
وفي صحيفتنا أعمال كثيرة مما يحبها الله منا
فتشفع لنا وتُثقل كِفة حسناتنا.
ومنها أن نتوب إليه سبحانه وتعالى بعد معصيته،
قال ﷺ: " وأتبعِ السَّيِّئةَ الحسنةَ تمحُها "
وأن نرجو مغفرته ونكون دومًا من المتطهرين.
قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]

ومن الأعمال التي يحبها الله تعالى الإحسان إلى الناس،
والمودة إليهم، والإحسان في العمل، والإتقان فيه
أيًا كان نوع العمل، في الطب أو الهندسة أو التعليم
أو صيانة السيارات أو الأعمال الصحية والكهربائية.
قال تعالى: ﴿ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥ ﴾ (البقرة:١٩٥)

ويُحب منا الله تبارك وتعالى الصبر عند البلاء،
والصبر على الطاعة، والصبر على المعصية؛
فالصبر على البلاء، بحبس النفْس عن السخط،
والصبر على الطاعة، بحث النفس على المداومة عليها
والصبر على المعصية، باجتنابها رغم ما بها من متعة ولذة
قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ (آل عمران:١٤٦)

وقال سبحانه كي تطمئن قلوبنا ونحتسب الصبر
على كل ما نواجه من اختبارات في الحياة:
﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ (الزمر:١٠)
ويحب منا الله العدل بين الأبناء،
فمن رزقه الله الولد، فعدْله بينهم من صلاح المجتمع،
ومن قلده الله منصبًا، فليعدل وليتقِ الله ربه
ومن قلده قوة، فليُقْسِط بين الناس ولا يتجبر.
فالعدل من صفاته التي يحبها في عباده،
قال تعالى:
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (الحجرات:٩)
ولأنه الملك والمالك الحقيقي لكل شيء في هذه الدنيا

يجب علينا أن نغير نظرتنا لفكرة الملْكية والتملك
وأن نتعامل مع كل ما وهبه الله لنا من مال وعقارات
وسيارات وتجارة وعلم وخبرة على أنها هِبات من الله
وأنها ملك لله في أيدينا ليرى ماذا سنفعل بها؟ خيرًا أم شرًّا؟،
ثم يجزي كلًّا بعمله؛ فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يرَ،
ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يرَ.
أدق الأعمال الصالحة من قول أو فعل لن ينساها الله لك،
لذلك قال النبي ﷺ:

" لا تحْقِرَنَّ من المعرُوفِ شيْئًا،ولوْ أنْ تلْقَى أخاكَ بوجْهٍ طلْقٍ"

وهذه الفكرة فطِن إليها أعرابي منذ مئات السنين حين سئل عن أغنام كانت له: لمن هذه؟
فقال: لله في يدي.

فاللهم بقوتك أعنَّا واستعملنا لما فيه الخير
وثبِّت قلوبنا على طاعتك؛ فوحدك مالك القلوب.

أثر معرفة الله الملِك في حياتنا

إن إيماننا العميق بأن الله سبحانه وتعالى هو الملك الذي بيده كل شيء، والصمد الذي يُرجع إليه لقضاء الحوائج، وأنه المهيمن والمسيطر، والشاهد على كل شيء، وأنه العزيز الجبار المتكبر ذو الجلال والإكرام، سيجعل حياتنا تتغير تمامًا؛ لأننا سندرك أنه يتوجب علينا الخضوع وإحسان العبودية له وحده سبحانه، وستضع لنا تلك الصفات لبنة من لبنات تكوين هويتنا الإسلامية الصحيحة التي يشوهها كثير من المسلمين بسوء أخلاقهم وسوء صنيعهم وتصرفاتهم؛ فإيماننا بأن الله هو الذي قدَّر كل شيء، وبيده تغيير كل شيء يدفعنا للارتباط به واللجوء إليه والتوكل عليه سبحانه دون غيره.

وحاجة الإنسان إلى الارتباط والانتماء من أهم الحاجات الإنسانية الثابتة علميًّا، فطبيعة الإنسان أنه يميل إلى الانتماء إلى بلدٍ ما ودينٍ ما وجنسٍ ما وعرْقٍ ما، وهي حاجة فطرية في البشر جميعًا، وهذا الانتماء هو ما يحدد منهج حياته.

فانتماؤك لدولةٍ ما يعني أنك تتّبع قوانين هذه الدولة، وانتماؤك لشركةٍ ما يعني أنك ستسعى لتحقيق خططها، وستلتزم بمبادئها وقيمها، وستعمل على زيادة أرباحها، وكذلك الانتماء لعائلة عريقة سيُوجب عليك العمل على الحفاظ على اسمها وسُمعتِها.

غير أن الدولة التي تنتمي إليها قد تسحب منك الجنسية وقد تسجنك إذا خالفت أنظمتها، أو قد تضطر لمغادرتها عندما يستحيل العيش فيها، والشركة التي تنتمي إليها قد تستغني عن خدماتك، والأصدقاء الذين تنتمي إليهم قد يتخلَّون عنك يومًا ما إذا تعارضت مصالحكم، والفتاة التي تحبها قد تتزوج غيرك ولا تنتظرك حتى تستعد للزواج، والأسرة التي تنتمي إليها قد تتبرأ منك إذا أخطأت أو قمت بعمل فاضح يسيء إليها وإلى سُمعتها.

أما الله الملك فلن يتخلى عنك مهما فعلت ومهما أخطأت في حقه أو حق الآخرين؛ لذا فهو وحده الذي يستحق أن يكون انتمائي له، ودينه الذي شرعه للناس هو الهوية التي تستحق الانتماء إليها،

وكل ما دون الله من وطن وعائلة وأصدقاء يأتي لاحقًا؛ لأنهم ارتباطات متغيرة وغير ثابتة، قد تتغير يومًا ما ويتغير ارتباطنا بها، ولكن الله سبحانه لا يتغير ولا يتبدل ولا يتخلى عنا مهما تخلى عنا الجميع، وعبوديتنا له تُحررنا من كل قيد وعبودية لسواه، وكذلك انتماؤنا إليه، وهو الأول والآخر والباقي يحررنا من كل انتماء قابل للزوال.

وإذا تأملنا سبب تخلف الأمة الإسلامية اليوم عن الدول الغربية في كل المجالات فسنجد أنه فقدان الهوية، أصبحنا لا نعرف إلى من ننتمي، وما الأفكار والقيم التي تحكم أفعالنا ومواقفنا وأهدافنا؟

إن الهوية هي التي تُكوّن قناعات المجتمع بشكل عام، وهي الأساس الذي يُبنى عليه التصورات والسلوكيات التي تنبعث من تلك القناعات، فإذا كانت هوية مجتمع ما هوية إسلامية تعتمد على قواعد الإسلام وأحكامه وعلى أصوله العامة فستجد ذلك يُترجم إلى واقع عملي، تلمسه وتراه وتشعر به في طعامه وشرابه وشوارعه وثقافته وفنه وإعلامه؛ فعندما تنسجم هوية المجتمع مع هوية الأفراد داخله يحدث التقدم، لأن الجميع سيكونون يجدّفون في اتجاه واحد، ويعزفون اللحن نفسه بتوافق وانسجام دون نشاز.

وعندما تكون هوية مجتمع ما هوية إسلامية لن تجد فيها شوارع ممتلئة بالقمامة، ولا مباني تسبب التلوث البصري؛ لأن الإسلام يدعو إلى النظافة والجمال: "إن الله جميل يحب الجمال".

ولن تجد عشوائية في المرور ولا المخططات السكنية التي لا تراعي احتياجات الإنسان النفسية؛ لأن الإسلام يدعو إلى النظام في كل شيء حتى في أثناء الحرب، قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الصف: ٤]

ولن تجد فحشًا ولا عريًا ولا مجاهرة بالمعاصي؛ لأن الإسلام يدعو إلى العفة والستر.

قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

[النور: ١٩]

ولن تسمع ألفاظًا بذيئة ذات فحش؛ لأن الإسلام يدعو إلى الطيب من القول: " فليقل خيرًا أو ليصمت ".

إن انتماءك إلى هوية ثابتة وراسخة وارتباطك بها يجعل حياتك مترابطة ومنسجمة ومتوافقة قولًا وفعلًا، داخل البيت وفي العمل وفي الشارع وحتى في الحرب.

ولن نجد هوية تمنحنا هذا الترابط والانسجام والتوافق إلا هوية الانتماء إلى الله الملك ذي الجلال والإكرام.

إن ما نراه من شعب فلسطين من قوة وصلابة وصبر
على ما يمارس ضدهم من عدوانية ووحشية وظلم
لأكبر دليل على أن هؤلاء القوم قد لجأوا إلى ركن شديد
لجأوا لمن يُثبّت القلوب ويُثبت الأقدام ويمنح الشجاعة
تخلوا عن كل هوية تربطهم بالآخرين بعد أن خذلهم الجميع
وجعلوا هويتهم وانتماءهم فقط لله الملك ذي القوة المتين
الذي لا عز إلا به، ولا قوة إلا منه، ولا نصر إلا من عنده؛
فكان نِتاج ذلك ما رأينا من قوة وصبر وثبات.
انقطع عنهم الماء والكهرباء، ولكن لم تنقطع صلتهم بالله،
دُمرت بيوتهم ومُنع عنهم الدواء، ولم يمنعهم ذلك من الثبات.
لم نر منهم رجلًا أو امرأة أو حتى طفلًا يتذمر ويقول: لمَ نحن يا الله؟!

رأينا أطفالًا كِبار، ورأينا نساء كالرجال، ورأينا شيوخًا كالشباب،
ورأينا على الجانب الآخر أصحاب الهويات الزائفة
يتنصلون من مبادئهم عندما تعارضت مع مصالِحهم،
رأينا دعاة الحرية لا يهتمون بحرية المحاصرين،
ودعاة حقوق الإنسان لا يبالون بعدد المقتولين،
ومن علا صوتهم بحقوق المرأة لا يتحركون
لإنقاذ المرأة في فلسطين لأنها ليست شقراء

ولا زرقاء العين كالمرأة في أوكرانيا.
رأينا ازدواجية المعايير في أقبح صورها،
رأينا أنهم ينتمون لهوية غير حقيقة وغير ثابتة
هوية تعتمد على المصالح لا على المبادئ
هوية فضحت وكشفت زيف المنظمات العالمية
للشعوب المغيبة في شرق الأرض ومغاربها.
قال تعالى:

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (التوبة:٢٤)

إن تقديم أي انتماء على الانتماء لله والدين يَعُدّه الله فسقًا.
يقول الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾
[آل عمران: ٨٦]

فالهوية الأساسية هي الدين والتعلق بالله الملك وبحبه؛
لأنه سبحانه هو الباقي وهو الدائم وكل ما سواه إلى زوال،
وكل منا سيلقاه يومًا ما بمفرده دون عائلة أو وطن ينتمي إليه.
قال تعالى: ﴿ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ۝٩٥ ﴾ (مريم:٩٥)

وأرجو ألا يُفهم أني أدعو إلى عدم الانتماء للوطن أو العائلة أو القبيلة أو فريق كرة القدم الذي تحبه، المقصود هو تحديد الأولويات من يأتي أولًا ومن يليه، فيجب أن نقدم انتماءنا للدين على كل انتماء دونه، فلقد كان الانتماء للجماعة ذات الموقف الواحد و الجماعة ذات الرأي الواحد والجماعة ذات الفكرة الواحدة هو سبب النصر في غزوة حنين كما جاء في صحيح مسلم عن العباس عم النبي ﷺ قال ما معناه:

بعد أن أكرم الله عز وجل نبيه بفتح مكة في العام الثامن من الهجرة، بلغهم أن مالك بن عوف النصْري جمع القبائل الكافرة من هوازن وثقيف وتجمعوا في وادي حنين لمحاربة المسلمين، فندب النبي ﷺ أصحابه وجيشه للتحرك نحو تجمعاتهم في حنين، وهو واد بين مكة والطائف وراء عرفات.

فلما بدأت المعركة والتقى المسلمون والكفار، ووقع القتال الشديد فيما بينهم، ولّى بعض المسلمين من المشركين مدبرين، وفروا من المعركة، فشرع ﷺ يحرك برجله بغلته إلى جهة الكفار،

وكان العباس آخذًا بلجام بغلته ﷺ، واللجام هو الحديدة التي تجعل في فم الدابة، وأمسك بها ليكفها ويمنعها ألا تسرع إلى جانب العدو، وكان أبو سفيان بن الحارث ابن عم النبي ممسكًا بركابه ﷺ تأدُّبًا ومحافظة عليه من السقوط، والركاب هو الحديدة التي يجعل الراكب فيها قدمه.

ثم نادى النبي ﷺ على عمه العباس: أيْ عباس، نادِ أصحاب السمرة، وهي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان يوم الحديبية، وكانوا بايعوه على ألا يفروا، فنادى عباس، وكان رجلا صيِّتًا، أي: قويّ الصوت: أين أصحاب السمرة؟ أي: لا تنسوا بيعتكم الواقعة تحت الشجرة، فلما سمعوا النداء، تذكروا العهد معه، وأقسم العباس رضي الله عنه فقال: فو الله، لكأن عَطْفَتهم -أي: رجْعتهم وعودتهم إلى رسول الله ﷺ- حين سمعوا صوتي، مثْل عَطْفة البقر على أولادها، تشبيه منه لشدة إسراعهم وجريانهم استجابة لندائه وأثره فيهم، كما تسرع قطيع البقر نحو أولادها إذا غابت عنها، وهذا دليل على أن فرار المسلمين لم يكن بعيدا، وأنه لم يحصل الفرار من جميعهم، وإنما وقع هذا ممن في قلبه مرض من مسلمة أهل مكة حديثا، ومن لم يستقر الإيمان في قلبه، وممن يتربص بالمؤمنين الدوائر.

فلما سمع المسلمون صوت العباس، قالوا: يا لبيك، يا لبيك، أي استجابة بعد استجابة، وسماعا بعد سماع، وكرروا قولهم: يا لبيك؛ للتأكيد على استجابتهم للنداء، فاقتتل المسلمون مع

الكفار، ثم تحولت الدعوة والنداء في الأنصار -وهم أهل المدينة- على جهة الخصوص، بعدما رجع المهاجرون فقال: يا معشر الأنصار، يا معشر الأنصار، يحثهم على المقاتلة، ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج، وكانوا قبيلة كبيرة من قبائل الأنصار، وكانوا أهل شدة وصبر في الحرب، فنودي: يا بني الحارث، ثم كرروا النداء من بعده فيما بينهم تشجيعا وإعجابا وإقبالا على العدو. فنظر النبي ﷺ وهو على بغلته إلى ساحة القتال، فقال ﷺ: "الآن حمي الوطيس" أي: الآن اشتدت الحرب، ثم أخذ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: "انهزموا ورَبِّ محمد" أي: أقسمت لكم برب محمد إنهم سينهزمون.

قال العباس: فذهبت أنظر إلى الفريقين المتقابلين، فإذا القتال مستمر بين الفريقين على هيئته، أي: أنه ما زالت الحرب قائمة دون أن يتبين لمن النصر فيما يراه العباس بعينه، ثم أقسم العباس رضي الله عنه فقال: "فوالله، ما هو إلا أن رماهم النبي ﷺ بحصياته فانهزموا سريعا، فما زلت أرى بأسهم وحِدّتهم وسيوفهم وشدّتهم كليلًا ضعيفًا، وأمرهم مدْبِرًا، وحالهم ذليلًا بعد أن كانوا منتصرين في أول الأمر".

لقد كان سبب النصر بعد توفيق الله تعالى هو الانتماء، الانتماء إلى البيعة والانتماء إلى فئة الأنصار، ثم الانتماء إلى قبيلة الخزرج، ولكن الأمر يتعلق بترتيب الانتماءات، مَن يأتي أولًا.

يُروَى أن سيدنا سعد بن أبي وقاص أسلم وهو في السابعة عشرة من عمره، وكان من أوائل الذين دخلوا في الإسلام عن طريق أول الخلفاء الراشدين أبي بكر الصديق، وقد حاولت أمه عدة مرات رده وصده عن الإسلام فأخفقت فلجأت إلى وسيلة لم يكن أحد يشك في أنها ستهزم روح سيدنا سعد وترد عزمه إلى وثنية أهله وذويه.

يقول سيدنا سعد: وما إن سمعتْ أمي بخبر إسلامي حتى ثارت ثائرتها، وكنت فتي بارًّا بها محبًّا لها، فأقبلتْ عليّ تقول: يا سعد، ما هذا الدين الذي اعتنقته فصرفك عن دين أمك وأبيك؟ والله لتدَعَنّ دينك الجديد أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فيتفطّر فؤادك حزنا عليّ، ويأكلك الندم على فعلتك التي فعلتَ، وتعيرك الناس أبدَ الدهر.

فقلت: لا تفعلي يا أماه؛ فأنا لا أدع ديني لأي شيء.

فلما رأت أم سعد الجدّ أذعنت للأمر وأكلت وشربت على كُرهٍ منها

ونزل قوله تعالى:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (العنكبوت:٨)

إن انتماء سيدنا سعد الشديد للإسلام هو ما ثبَّته على موقفه؛ لأنه يعلم أن بر الوالدين من الدين، ولكن يأتي الولاء والانتماء لله والدين والهوية الإسلامية أولًا.

ونلاحظ في هذا العصر الذي نعيش فيه اهتمام الشركات العالمية بإظهار هويتهم من خلال لون وشكل علامتهم التجارية، ومن خلال فرض زي موحد على جميع موظفيها وأسلوب معين للرد على الهاتف ونوع السيارة التي يستخدمها موظفوها والاهتمام بأدق التفاصيل التي تبرز هويتهم وثقافتهم، وبينما يتقبل الناس ذلك بصدر رحب، ينكرون على الله سبحانه وتعالى أنه قنن لنا كيف نعيش ومتى ننام ومتى نستيقظ وكيف نعمل وماذا نقول وكيف نعبده ومتى وأي الألوان أفضل للرجال وأيها أفضل للنساء.

وأسلوب الحياة الذي فرضه الإسلام هو ما يمثل هوية المسلم، فالله سبحانه وتعالى خلقنا ثم وضع لنا المنهج الذي تستقيم به حياتنا. إن الإسلام منظومة فكرية متكاملة بها أفكار واعتقادات وتصورات، مَن قَبِلها واعتنقها وطبّقها فقد أخذ بأسباب الحضارة والرقي، ومَن أنكرها ورفضها فلن يتقدم ولن يرتقي، ولعل سبب الواقع المتخلف الذي تعيشه معظم الدول الإسلامية، أنها لا تطبق هذه المنظومة كاملة.

الشجاعة والثقة بالنفس

إن الإيمان العميق واليقين القوي بأن الله هو الملك وأن مقاليد الدنيا بيده، وأن حياتنا وموتنا بيده، وأن رِزقنا بيده، وأن كل ما يصيبنا من خير أو شر هو قدره، وأن أرواحنا لن تزهق إلا بأمره وفي الوقت الذي حدده سبحانه، يجعل المؤمن يزداد شجاعة وثقة بالنفس فتجده واثق الخُطى، يقول الحق ولا يخشى في الله لومة لائم، لا يتذلل لأحد من أجل الرزق، ولا يُداهن المديرين وأصحاب النفوذ؛ لأنه على يقين أنْ لا أحد يرزقه إلا الله، ولا أحد يستطيع أن يصيبه بضر أو بسوء إلا بأمر الله، وأن ما سيلقاه إنْ صدع بكلمة الحق أو رفض الظلم هو ما كتبه الله له.

ومن أعظم مَن صدعوا بالحق وتحلَّوا بالشجاعة والثقة بالنفس في تاريخنا المشرق، ذاك الرجل الذي كان قيمة خلقية رفيعة وقامة علمية يَندُر تَكرارها، وما زالت مؤلفاته الكثيرة ضمن الكتب الأكثر مبيعًا، ذاك الذي ما ذُكرت كلمة شيخ الإسلام وإلا فُهم أنه المقصود بها منذ ما يزيد عن سبعمائة عام، إنه شيخ الإسلام الفقيه والمفسر والعالم تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم المشهور باسم ابن تيمية الذي بادر إلى بيان الموقف الشرعي من حرب التتار وسعى إلى تقوية جأش المسلمين وتعبئة صفوف المجاهدين، بل شارك بنفسه في القتال. فحين توجه غازان – أحد ملوك التتار الذين ادّعوا الإسلام – إلى الشام وقصد غزوها توجه

إليه ابن تيمية مع عدد من علماء المسلمين ووجهائهم يحذرونه من مغبة فعله، وكان مما قال له ابن تيمية:

" أنت تزعم أنك مسلم ومعك مؤذنون وقاضٍ وإمام وشيخ على ما بلغنا، فغزوتنا وبلغت بلادنا على ماذا؟! وأبوك وجدك كانا كافرين وما غزوا بلاد الإسلام، بل عاهدوا قومنا، وأنت عاهدت فغدرت، وقلت فما وفيت".

وحذره من قتل المسلمين وأخذ أموالهم، وحين قدّم لهم الطعام أبى ابن تيمية الأكل منه، فقيل له: ألا تأكل؟! فقال: كيف آكل من طعامكم وكله مما نهبتموه من أغنام المسلمين، وطبختموه بما قطعتموه من أشجارهم؟!

وكان في أثناء حديثه لغازان يرفع صوته ويقترب منه حتى كادت ركبته تلاصق ركبة السلطان يحذره ويخوفه، فخافه السلطان وأنصت له، وحين خرجوا منه عنده قال له أصحابه:

" كدت تهلكنا وتهلك نفسك".

وحين تأخر سلطان مصر عن الخروج بالجيوش ضد التتار في الشام وتلكأ عن نصرة المسلمين توجه إليه ابن تيمية حتى وصل مصر واستحث السلطان ومن معه على القتال والجهاد في سبيل الله، وقال للسلطان بنبرة شُجاعة وقوية:" إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته أقمنا سلطانا يحوطه ويحميه "

وقال له أيضًا يحثه على سرعة الاستجابة لنصرة المسلمين في الشام: " لو قُدر أنكم لستم حكام الشام وملوكه واستنصركم أهله وجب عليكم النصر، فكيف وأنتم حكامه وسلاطينه؟!"

ولم يزل بهم يحثهم ويعظهم حتى خرجت جحافل جيوش المسلمين من مصر وتلاقت رايات المسلمين في الشام، ففرح الناس فرحًا شديدًا بعد أن كانوا قد يئسوا من أنفسهم وأهليهم وأموالهم.

وحين انزعج الناس سنة ٧٠٠ هـ مِن توجه التتار إلى بلاد الشام وأخذوا يبيعون متاعهم ويتأهبون للهرب، قام ابن تيمية بمجلسه في الجامع وحرض الناس على القتال وساق لهم الآيات والأحاديث الواردة في فضل الجهاد ووجوبه، ونهى عن الإسراع في الفرار ورغب في إنفاق أجرة الهرب في الجهاد، وأوجب جهاد التتار وألزم به، وتوجه إلى العسكر القادم من حماة فاجتمع بهم، وثبتهم ورفع من معنوياتهم، وبيَّنَ الأجر العظيم الذي وُعدوا به.

وكان يذهب إلى المجاهدين في سبيل الله ويجتمع بهم كثيرًا ويبيت عندهم ويعظهم ويقوي من جأشهم، ويعدهم بالنصر ويبشرهم الغنيمة ويذكر لهم ما ينتظرهم من الجزاء عند الله في الجنة، بل إنه في بعض المواقف يقسم لهم ويقول: والله إنكم منصورون، فيقولون له: قل: إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا.

لقد بلغت الأمة الإسلامية في وقت غزو التتار لها مبلغًا عظيمًا من الضعف والهوان والتفرق، وبات الأمراء والملوك يتقاسمونها فيما بينهم ويستحوذون على خيراتها ومقدراتها، وأضحى الناس مغلوبين على أمرهم وخاضعين لهوى من يحكم ويتأمر عليهم.

ومع ذلك فحين دخل التتار بلاد المسلمين لم يتردد العلماء -ومنهم ابن تيمية- في الإفتاء بوجوب محاربتهم والتصدي لهم، بل إن ابن تيمية كان يؤكد ذلك الوجوب، ويقول: " قتال هؤلاء واجب بكتاب الله وسنة رسوله واتفاق المسلمين"، ثم بيّنَ الأصول التي يقوم عليها ذلك الحكم وجمع الأدلة الشرعية التي يعتمد عليها في فتواه.

وحين نزل الأعداء ببلاد المسلمين كتب كتبًا كثيرة إلى أمراء المسلمين ومدائن الإسلام يحثهم فيها على الجهاد، ويبين حقيقة الموقف الشرعي في تلك النوازل، وذكر أقسام الناس في تلك الفتنة فقال:

فهذه الفتنة قد تفرق الناس فيها ثلاث فرق:

الطائفة المنصورة وهم المجاهدون لهؤلاء القوم المفسدين،

والطائفة المخالفة وهم هؤلاء القوم ومَن تحيّز إليهم من خبالة المنتسبين إلى الإسلام.

والطائفة المخذّلة: وهم القاعدون عن جهادهم وإن كانوا صحيحي الإسلام ، فلينظر الرجل أيكون من الطائفة المنصورة أم من الخاذلة أم من المخالفة".

وأشار إلى أهمية ولزوم الحفاظ على بلاد المسلمين وعلى مركزية الدولة الإسلامية، وأكد على أن أهل الشام ومصر في زمنه هم المقاتلون عن دين الإسلام، وهم المدافعون عن حدوده وأراضيه، وأنهم أحق الناس دخولًا في الطائفة المنصورة التي مدحها النبي ﷺ، وبيّن أحوال المسلمين المزرية في بقاع الإسلام الأخرى اليمن والحجاز والمغرب وأفريقيا، وأوضح ما فيها من الفساد والبعد عن الدين والوقوع في الشرك والمحرمات، وأكد في كلام واضح جدًّا على أهمية ووجوب نصرة أهل الشام ومصر، وعلى أن خذلانهم والتخلي عنهم من أعظم الخذلان للإسلام والمسلمين.

لم يكتف شيخ الإسلام ابن تيمية بتلك المواقف الواضحة والبينة في مواجهة أعداء الإسلام والمسلمين، وإنما جمع مع ذلك أن قام بالاشتراك بنفسه في الجهاد ضدهم وبذل ماله ونفسه في سبيل الله؛ فقد كان حاضرا في ساحة القتال ومقاتلًا في سبيل الله مع المجاهدين، وكان يدور على المقاتلين يحثهم ويصبرهم ويعدهم بالنصر، "وكان هو وأخوه يصيحان بأعلى أصواتهما تحريضا على القتال وتخويفا للناس من الفرار".

وما فعله شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الموقف يكشف لنا الواجبات المُحتمة على العلماء في المصائب والأحداث الجِسام والنوازل العظيمة، فالأمة في مثل هذه الأحوال التي تُسفك فيها الدماء وتُنتهك فيها الأعراض وتُقهر فيها النفوس وتُسرق فيها الأموال وتُخرب فيها الديار تحتاج إلى مواقف واضحة من العلماء

وجادة في بيان الحكم الشرعي، بحيث يكون فيها العلماء على قدر كبير من الشجاعة والوضوح والاتفاق والاستقلال الذاتي عن المؤثرات الخارجية فيبينون الموقف الشرعي ولو كان مخالفا لبعض السياسيات السائدة في زمنهم، فليس دور العلماء منحصرًا في جمع الأموال والتبرعات ولا في إلقاء الخطب والكلمات، وإنما هناك أعمال أخرى يحتاجها الناس، وهي تثبيت القلوب وتقوية العزائم، وهذا لا يقدره إلا علماء يمتلكون الشجاعة والثقة بالنفس مثل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.



أحبك ربي لأنك المُقسِط

موصوفٌ ربي بالعدل في حكمه وتقديره وأفعاله
وهو لا يظلم الناس مثقال ذرة سبحانه
حَرّم الظلم على نفسه وجعله مُحرمًا بين عباده
جاء في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أن الله تعالى قال:
" يا عبادي، إنِّي حرَّمتُ الظُّلمَ على نفسي وجعلتُهُ بينَكم محرَّمًا فلا تَظالموا "
لا يُحابي ربي أحدا ولا يُظلم عنده أحد
ولا يأخُذ أحدًا بذنب أحد
لا تضيع عنده الحقوق مهما مر الوقت عليها
فما من حقٍّ إلا ويرده لصاحبه
وما من مظلمة إلا ويُنصف صاحبها
قال سبحانه: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف: ٤٩]

فكيف لا أحبه؟!
وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

ولأنه المُقسِط

فلا يكلف ربي نفسًا إلا وسعها

ولا يكلف نفسًا إلا ما آتاها

فلا زكاة على من لا يمتلك المال

ولا زكاة على من يمتلك المال ولم يَحُلِ الحول عليه

ولا صوم على من كان مريضًا أو على سفر

ولا حج لمن لا استطاعة له ماديًّا وصحيًّا

ولا نفقة للزوجة إلا بقدر ما يملك الرجل

ولا جهاد لمن يعول والديه أو أحدهما

سبحانه مُقسِط وعادل في كل شيء

شرع العدل بين الناس وأمرهم به فقال:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾

(النحل: ٩٠)

فكيف لا أحبه؟!

وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

ولأنه المُقسِط

الذي يعلم السر وما تخفي الصدور

ويعلم ما يُصلح حياة الإنسان وما يصلح المجتمعات

عَظَّم ثواب الحاكم العادل المُقسِط

لأنه سبحانه يعلم أن العدل هو ما يجعل الإنسان

يأمن على حياته وماله وتجارته وحريته،

فجعله من أوائل من يظلهم سبحانه بظِلّه يوم لا ظِل إلا ظله،

جاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال:

" سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تعالى في ظِلِّهِ يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: إمَامٌ عَدْلٌ، وشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ اللَّهِ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ، ورَجُلَانِ تَحَابَّا في اللَّهِ، اجْتَمعا عليه وتَفَرَّقَا عليه، ورَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وجَمَالٍ فَقالَ: إنِّي أَخَافُ اللَّهَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقَةٍ فأخْفَاهَا حتى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ "

إن العدل هو أساس استقرار المجتمعات وصلاحِها وتقدمِها، وبالعدل يسود الأمن بين الناس ويُوقر الشعب حاكمه حبًّا لا خوفًا. يُروى عن والي حمص في الشام أنه أرسل إلى سيدنا عمر بن العزيز حين كان خليفة المسلمين يطلب منه أن يخصص جزءًا من المال لترميم مدينته وتحصينها بسور يصد هجمات الأعداء عنها، فرد عليه الخليفة عمر بن عبد العزيز قائلًا:

" حصِّنْها بالعدل، ونَقِّ طرقها من الظلم "

ولم يكن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز وهو يرد على واليه بهذا الجواب غافلًا عن قواعد البناء والتحصين، ولكنه كان يعلم أن ما يحمي المجتمعات هو أهلها قبل أسوارها وحصونها، وأنهم لن يفعلوا ذلك إلا إذا شعروا بأن خير هذه البلاد لهم وأنهم يحصلون على حقوقهم كاملة، ولعلمه بأن الله مقسِط وعادل يحب العدل ويأمر به.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

" إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة"، ولا غرابة في ذلك؛ فضرر الكفر عائد على الذات، أما الظلم فمفسدته متعدية إلى الآخرين.

إن إرساء العدل بين الناس والعدالة في توزيع ثروات الدولة عليهم هو ما يزيد ولاءهم لتلك الدولة ويوفر الأمن المجتمعي، أما شعورهم بأن هناك فئة قليلة من الشعب هي المستفيدة من موارد الدولة - الأمر الذي يجعل الأغنياء يزدادون غنًى، والفقراء يزدادون فقرًا - فيجعل بقية الشعب يشعرون أنهم مقهورون ويجعلهم في حالة تربص بالدولة لانتزاع حقوقهم منها عنوة في حالة غياب الأمن، لذا نجد الدول التي لا يسود فيها العدل تضيع معظم ميزانياتها على الأنظمة الأمنية التي تضمن استقرارها وأمنها.

يُروى أن كسرى ملك الفرس أرسل رسولًا لزيارة عاصمة الإسلام وملِكهم عمر ابن الخطاب- حيث كان يظن أنها مملكة -، وأمره أن ينظر كيف يعيش وكيف يتعامل مع شعبه، فلما وصل رسول كسرى إلى المدينة المنورة عاصمة دولة الإسلام لمقابلة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل: أين قصر أمير المؤمنين؟

ضحك الصحابة من سؤاله هذا وأخذوه إلى بيت من طين وعليه شعر ماعز وضعه عمر لكي لا يسقط المطر فينهدم البيت على رأسه ورأس أولاده.

فتعجب واندهش الرسول وقال لهم: أريد قصر الإمارة!

فأكدوا له أن هذا هو بيت أمير المؤمنين، فطرقوا الباب ففتح لهم عبد الله بن عمر بن الخطاب فسألوه عن أبيه، فقال: ربما كان في نخل المدينة.

ثم دلوه على رجل نائم تحت ظل شجرة، وفي ثوبه عدد من الرقع، وبدون أي حراسة، ينام على الأرض يغط في نوم عميق يده اليسرى تحت رأسه وسادة، ويده اليمنى على عينه تحميه من حرارة الشمس.

فتعجب الرسول من هذا المنظر ولم يصدق ما رأته عيناه وتذكّر كسرى وقصوره وحرسه وخدمه فقال قولته المشهورة:

"حكمتَ فعدلتَ فأمِنت فنمتَ يا عمر"

إن العدل هو الأساس لكل حكم رشيد، وهو الباعث على الطمأنينة بين أفراد الشعب، وبين الشعب والحاكم، لذا كان سيدنا عمر بن الخطاب ينام قرير العين تحت شجرة دون حراسة وهو يحكم نصف العالم تقريبًا ولا يبالي ولا يخاف؛ لأن العدل جالب للأمن والأمان بين الحاكم ورعيته.

قال تعالى المقسط العادل في مُحكم آياته:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ ﴾ (النساء:٥٨)

فاستجيبوا له وأطيعوا؛ فهذا نِعْمَ شيئًا يعظكم به كما قال سبحانه، أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وأن تعدلوا بين الناس وتُقْسطوا، فهذا ما فيه الخير لكم، قال تعالى:

﴿ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩ ﴾ (الحجرات:٩)

كما تحب لنفسك ألا تُظلم، كذلك الناس لا يحبون أن يُظلموا ويكرهون ظالمهم ومن عاونه على ظلمهم ويدعون عليه ليل نهار،

وقد وعدهم الله بقبول دعوتهم والانتقام من الظالم في الدنيا قبل الآخرة.

جاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن:

" إنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إلى أنْ يَشْهَدُوا أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، فإنْ هُمْ أطَاعُوا لكَ بذلكَ، فأخْبِرْهُمْ أنَّ اللَّهَ قدْ فَرَضَ عليهم خَمْسَ صَلَوَاتٍ في كُلِّ يَومٍ ولَيْلَةٍ،فإنْ هُمْ أطَاعُوا لكَ بذلكَ، فأخْبِرْهُمْ أنَّ اللَّهَ قدْ فَرَضَ عليهم صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِن أغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ على فُقَرَائِهِمْ، فإنْ هُمْ أطَاعُوا لكَ بذلكَ، فَإِيَّاكَ وكَرَائِمَ أمْوَالِهِمْ، واتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فإنَّه ليسَ بيْنَهُ وبيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ "

ومن عجيب ما يُذكَرُ في انتقام الله من الظالمين،
ما وقع للوزير " يحيى بن خالد البَرْمَكي" الجواد المشهور
الذي يُضرَب المثلُ به في سَعَة الجود والكرم.

كان الخليفة العباسي المَهدي قد ضَمَّ ابنَه هارونَ الرشيد إلى يحيى بن خالد، وجعَلَه في حجْره، فربَّاه يحيى وأرضعَتْه امرأتُه مع ابنه الفضل، وصار الرشيدُ ابنَ يحيى من الرضاعة.

فلما استُخلِفَ الرشيد، عَرَف ليحيى حقَّه وولاه الوزارة،

وكان يُعظِّمه، وإذا ذكره قالَ: أبي.

وجعَلَ إصدارَ الأمور وإيرادَها إليه إلى أن نَكَب هارونُ الرشيدُ البرامكة

فَغَضِبَ على يحيى بن خالد البرمكي وخلَّده في الحَبْس إلى أن مات فيه سنة ١٩٠ هـ.

وقال جعفر لأبيه يحيى بن خالد وهُمْ في القيود والحَبْس: يا أبتِ، بعدَ الأمر والنهي والأموالِ العظيمة أصارَنا الدَّهرُ إلى القُيُودِ ولُبس الصُّوف والحَبْس!

فقال له أبوه يحيى: يا بُنيَّ، لَعلَّها دعوةُ مظلوم سَرَتْ بليل غَفَلنا عنها ولم يغفل الله عنها.

فاتقوا دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب.

أثر معرفة الله المُقسِط في حياتنا

إن تفعيل اسم الله (المقسِط) وصفة العدل في حياتنا يمحو الضغينة من قلوب بعض الأبناء لآبائهم بسبب المبالغة في تفضيل بعض إخوتهم عليهم وبعض الموظفين من مديريهم لتمييز آخرين عليهم، وينزع البغضاء من قلوب بعض الشعوب تجاه حكامهم.

ومن الأمور التي تساعد على العدل توزيـع السُّلطة، فقليل من السلطة قليل من المفسدة، أما السُّلطة المطلقة فهي مفسدة مطلقة وأداة تساعد على الظلم في كل عصر وفي كل زمان.

والله سبحانه وتعالى مُقسِط يحب العدل ويحب أن يتعامل الناس بعضهم مع بعضٍ بالعدل، وشرع للناس ما تستقيم به حياتهم وعلاقاتهم وتجارتهم وكيف يتعاملون بالقسط دون ظلم، وأرسل رسله لهداية الناس وإصلاح أمور حياتهم.

قال سبحانه:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ (الحديد:٢٥)

وانتشار العدل يعني إعطاء كل ذي حق حقه، فمن يستحق منصبًا ما وهو الأجدر به يجب أن يتولاه دون محسوبية أو واسطة، ومن يستحق عقوبة ما على ذنب أو جريمة فعلها تجب محاسبته، فيشعر الجميع أنهم سواسية أمام قانون الدولة التي يعيشون فيها.

أما انتشار الظلم فهو أذان بخراب العمران وهلاك الدول وسقوطها، فالله لا يُديم حكم الدول الظالمة، قال تعالى:

﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (النمل:٥٢)

وقال سبحانه:

﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (الأنبياء:١١)

وإقامة العدل ليست محصورةً أو مقصورة على حاكم الدولة فقط، وإنما هي مسؤولية الجميع كلٌّ حسْبَ موقعه الاجتماعي، فليس من العدل أن ينتقد ظلم الحاكم مَن يظلم في مؤسسته أو مَن يظلم فريقه أو مَن يظلم داخل أسرته؛ فمثل هذا لديه قابلية للظلم ولا يختلف في ذلك عن الحاكم إلا أن الحاكم قد مكن الله

له، وهذا لم يُمكّن له بعدُ، ولكنه إذا تولى سيسعى في الأرض ليفسد فيها ويكون ظالمًا مثله كمن كان ينتقده، وفي الحديث الذي رواه أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

" ما مِن رجلٍ يَلِي أمرَ عَشرةٍ فما فَوقَ ذلك، إلَّا أتى اللهَ عزَّ وجلَّ يومَ القيامَةِ يدُه مَغلولةٌ إلى عُنُقِه، لا يَفُكُّه إلَّا العدْلُ، أو يُوبِقُه الجَوْرُ"

فكل من ولي أمرًا من أمور المسلمين يكون فيه على عشرة من الرجال أو أكثر إلا جاء يوم القيامة ويده مقيدة في عنقه ولا يُطلقه مِن قيده إلا عدله الذي كان يعمل به في الدنيا فينجو، أو يبقى في قيده لظلمه وجوره في الدنيا فيهلك، بل حتى الإنسان العادي الذي لا يملك أي سلطة فإن هناك مستوًى من العدل يستطيع أن يُقيمه، وذلك بقول كلمة الحق وعدم السكوت حين يُتهم بريء ظلمًا وهو يملك أن يذب عنه الاتهام، والبعد عن شهادة الزور، فهذا هو العدل في الشهادة الذي يستطيع أن يحققه، وبذلك يكون العدل مسؤولية جماعية، فنقيم مجتمع العدل بأنفسنا قبل أن ندعو الله بأن يرزقنا حاكمًا عادلًا.

ازدواجية المعايير:

إن ما نراه اليوم من ظلم واستبداد وازدواجية للمعايير من دول العالم الغربي هو نتيجة لغياب معنى العدل الحقيقي في عقيدتهم، فما يقولونه ويفعلونه تجاه الحرب في أوكرانيا يتعارض تمامًا مع ما يقولونه ويفعلونه تجاه الحرب في فلسطين، وميزان الحق لديهم مختل لا يفرق بين صاحب الحق وبين المحتل، لذا فأحكامهم ظالمة، يحكمون بأهوائهم لا طبقًا للحق والعدل والقسط.

بعض العدل في هذه الحياة يحتاج أن تطلبه بقوة،
فمن يري منك ضعفًا تغريه قوته بظلمك.

يقول الحق سبحانه:

﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ ﴾

(المطففين:١،٢،٣،٤)

في حياتنا اليومية ترى بعض الناس يكيل بمكيالين، فإذا كان لهم حق عند غيرهم سعوا لأخذه كاملًا، وإذا كان عليهم الحق لغيرهم لم يعطوه كاملًا. فتجد زوجًا يطلب من زوجته كل حقوقه ويتغافل عن إعطائها حقوقها، وترى صاحب شركة يطالب موظفيه بالقيام

بواجباتهم ويتغافل عن القيام بواجبه، الحق عندهم متغير على حسب من له الحق.

إن العدل هو أساس نجاح جميع العلاقات وبدونه لا تستقيم حياتنا؛

فالعدل مع الله سبحانه يكون بتوحيده والإيمان به وعبادته حق العبادة،

والعدل مع الناس يتمثل بمعاملتهم كما أُحب أن أُعامَل، وبعدم التعدي على حقوقهم،

والعدل مع النفس يكون بتزكيتها وتهذيبها وعدم ارتكاب ما يُغضب الله واتِّباع ما أمر به سبحانه.

والعدل يقتضي عدم اتباع الأهواء حتى لا تفسد الحياة،

قال تعالى:

﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾

(المؤمنون:٧١)

والعدل بوجه عام لا يعني المساواة؛ فمن الظلم أن يتساوى غير المتساويين، فإن كان لشخص ما مال ويساعد أبناءه، فمن غير العدل أن يعطي ابنه الذي لديه ثلاثة أبناء القيمة التي يعطيها لابنه

الذي لديه طفل واحد؛ لأن متطلبات كل منهما مختلفة وهذا في حياته، أما بعد مماته، فقد شرع الله طريقة توزيـع الميراث بما يراه أصلح للنفوس وللمجتمع وللحالة الاجتماعية لكل وريث بمقدار حكيم قدره الله سبحانه وتعالى.

واسم الله (المُقسِط) يعني العادل في حكمه، المتنزه عن الظلم والجور وهو يقتضي أن نحكم على الأمور من منظور تقدير الحاجات ودراسة ما يحتاجه الموقف، فلا تحتاج كل النباتات لنفس الدرجة من الضوء، ولا نفس الكمية من الماء، ولا نفس الدرجة من الاهتمام، وما تحتاجه زوجتك مختلف عما يحتاجه والداك أو أولادك أو أصدقاؤك من الوقت والاهتمام؛ فكل منهم يحتاج إلى مقدار مختلف من الاهتمام والرعاية والوقت.

وهذا المقدار يحتاج حكمة لتحديده وحسن مباشرته، فلا يمكننا توحيد العطاء وانتظار النتيجة نفسها؛ فالعدل لا يعني دائمًا المساواة، ولكنه يعني إعطاء كل ذي حق حقه وكل صاحب حاجة حاجته.

والعدل يعني عدم الاضطهاد، قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨ ﴾ (المائدة:٨)

فعند الحكم بين الناس يجب أن نضع المشاعر السلبية ومشاعر الكراهية جانبًا، وأن نعدل بين الناس وبين الشعوب، فالحق أحق أن يُتّبع مع كل الناس حتى مع الخصوم.

كان سيدنا عمر بن الخطاب شديد الحب لأخيه زيد بن الخطاب الذي أسلم قبله وقُتل في موقعة اليمامة إبّان حرب الردة بعد وفاة النبي ﷺ، وكان شديد الكراهية لقاتل زيد الذي ارتدّ، ثم تاب وعاد وأسلم وذهب إلى المدينة المنورة،

فقال له عمر: إني أكرهك كراهية الأرض للدم المسفوح، اغْرُبْ عن وجهي

فقال له قاتل زيد: أتظلمني بكرهك لي؟

فقال له عمر: لن أظلمك، بل تأخذ حقوقك كاملة.

فقال قاتل زيد: إذن لا ضير (أي لا ضرر)، إنما يبكي على الحب النساء.

قال الله تعالى:

﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ (النساء:١٣٥).

ينبغي علينا أن نسيطر على مشاعرنا، وأن نحكم بالعدل لا بالهوى؛ حتى تستقيم أمور العباد وتصلُح البلاد، فإنما تفسد البلاد بانتشار المحسوبية والواسطة بأن نجعل مشاعرنا تحركنا تجاه من نحب فنعطيهم حقًّا كان هناك مَن هو أحق منهم به، وهنا طرفا المحسوبية آثمان، فالمعطي لا يعدل، ويحابي على أساس القرابة أو المحبة أو السلطة والنفوذ، والآخذ يقبل أن يأخذ حق غيره ظلمًا؛ فالعدل يعني عدم المحاباة والتحكم بالمشاعر الإيجابية، قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾ (النساء:٥٨)

سبحانه لم يأمر بالعدل بين المسلمين، وإنما قال: "بين الناس" جميعًا، فكلهم خَلْقه وكلهم عباده، والله لا يحابي المسلمين على غيرهم؛ فكلهم أمامه في الحق سواء.

إن الله العدل سبحانه لا يضيع حق عباده، وسيزن أعمالهم وسيرد المظالم إلى أهلها ولو كانت في مثقال الذرة التي لا تُرى بالعين.

قال تعالى:

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الأنبياء:٤٧)

إن الحق هو أساس العدل، وهو المؤدي إليه؛ فتحقيق العدل يتطلب ويحتاج معرفة الحق، ولكي ندرب عقولنا على معرفة الحق واستنباطه علينا اتّباع التالي:

أولًا: عدم الافتراض أو عدم تصديق كل ما يقال لنا.

تقول الباحثة آن هيرمان: إن كثيرًا من الناس يعيشون بخاصية " الطيار الآلي Auto pilot "، تلك التي يستخدمها قائد الطائرة أثناء قيادته لها، فيجعل الطائرة تطير بمفردها دون الحاجة إلى مراقبة، حيث يفعّل فقط خاصية "الطيار الآلي" بعد إقلاع الطائرة والتزام مسار الرحلة، ومِن ثَمّ تُكمل الطائرة الرحلة آليا حتى قرب الهبوط.

فتقول الباحثة: إن معظم الناس يعيشون بهذه الخاصية فلا يُرهقون أنفسهم بالتفكر والتدبر والتأمل في أي شيء، أو تحليل أي شيء، ويفترضون الحقائق بدلًا من البحث عنها بتفكير عقلاني.

وتقترح هيرمان طريقة معينة لاكتشاف الحقيقة واستنباطها، وهي عدم الافتراض والبحث عن الحقيقة وما أسبابها، وما أسهل هذا الآن في عصر الإنترنت وسهولة الوصول إلى المعلومات.

وتنصح الباحثة بالآتي:

حدثْ نفسك عندما تفترض شيئًا وقل لها:

ولكن ماذا لو كان هناك احتمال آخر؟،

فلو طبقنا هذه الفكرة في حياتنا عندها سنغير بعض القناعات التي استسلمنا لها عن طريق الإعلام وما يمليه علينا من أكاذيب ليل نهار.

فماذا لو فكرنا وقلنا لأنفسنا: ماذا لو كان كل ما يقال لنا في الإعلام غير صحيح؟

عندها ستتولد لدينا قوة دافعة للبحث لمعرفة الحق ودقة ما يعرض علينا من معلومات وأفكار، وعدم الاستسلام والتسليم لكل ما يقال لنا أو كل ما نسمعه ويحاول الآخرون إقناعنا به.

ثانيًا: استخدام عقلية المستكشف

أشارت جوليا جالف رئيسة قسم العقلانية التطبيقية في الولايات المتحدة الأميركية في إحدى محاضراتها إلى وجود نوعين

من العقليات يتصرف الإنسان من خلالهما في يومه، وهما عقلية المقاتل وعقلية المستكشف.

فأما عقلية المقاتل فهو الشخص الذي ينظر إلى أي فكرة جديدة غريبة عن أفكاره أنها عدو له تجب محاربته وقتله، فهو هنا سلوكه حماية القناعات، يريد أن يحمي قناعاته بمهاجمة الفكرة الجديدة التي تعرض أمامه أو عليه.

أما عقلية المستكشف فهي العكس تمامًا؛ فالشخص المستكشف يحب أن يرى الحقائق وعنده رغبة في دراسة الفكرة الجديدة لكي يعرف إلى أين ستأخذه هذه الفكرة وإلى أي نوع من الحقائق.

والشخص المقاتل تقوده مشاعر الخوف من الأفكار الجديدة إلى سلوك الغضب عند التعرض لأي فكرة لا تتوافق مع قناعاته وأفكاره، لذلك يهاجم الفكرة ليحمي قناعاته، أما الشخص المستكشف فتقوده مشاعر الفضول والشغف وحب الاستطلاع- وهي مشاعر إيجابية – لمعرفة إلى أين ستُوصله هذه الفكرة.

لذا فإن نوعية العقلية التي يستخدمها الإنسان هي التي تحدد طريقة تعامله مع الأفكار الجديدة أو الغريبة أو المخالفة لرأيه، هل عقلية المقاتل فيحمي قناعاته أو عقلية المستكشف فيتقبل الأفكار الجديدة بكل شغف وفضول، ويدرس إلى أين ستأخذه؟

إذن تفاعلنا مع اسم الله (المُقسِط) الذي يقتضي العلم والحكمة، والرغبة في تفعيله في حياتنا يقودنا لتجنيب المشاعر عند الحكم على أمر ما أو في قضية ما، ويجعل نوعية عقولنا حينئذ عقلية المستكشف الباحث عن الحق.

يقول أرسطو: إن من علامات العقل المستنير القدرة على تحليل فكرة، والتفكير فيها بدون أن يقبلها أو يرفضها بالضرورة.

فينبغي أن نتفكر ونتدبر فيما يعرض علينا من أفكار ومعلومات، ولا نقبل شيئًا أو نرفضه قبل التفكر فيه حتى إذا كان يعارض قناعاتنا السابقة، فلعله حق، وإن اتباع الحق في ساعة العسرة غير اتباعه في ساعة اليسرة حين يتبعه جميع الناس، فالشجاعة هي الوقوف مع الحق وقول الحق في ساعة العسرة.

قال تعالى:

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ (التوبة:١١٧).

وعدل الله سبحانه وقسطه يقتضيان الحكمة، لذا فهو الحكيم الذي لا يدخل في تدبيره خلل ولا زلل، المُحكِمُ في أفعاله وأقواله فيضع الأشياء في محلِّها دون زيادة أو نقصان، وقوله وفعله في أعلى درجات الصواب، لذا يقول سبحانه:

﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ (البقرة:٢٦٩)

أي: لا يتذكر ولا يعي ذلك إلا أصحاب العقول الكبيرة.

ليس كل من يعرف الحق يعترف به

كان عبد الله بن سلام ﵁ من يهود المدينة، وذلك قبل مبعث النبي ﷺ، وكان حبرًا عالما من علماء اليهود ويعلم من التوراة صفات النبي ﷺ.

يروي أنس بن مالك ﵁ كما جاء في صحيح البخاري أن عبد الله بن سلام ﵁ لما علم بقدوم النبي ﷺ المدينة بعد الهجرة إليها، جاءه ليتأكد من كونه هو النبي المبشر به من عند رب العالمين، فقال للنبي ﷺ: إنه سيسأله ثلاثة أسئلة لا يعلمها إلا نبي، وهذا يدل على عظيم علم عبد الله بن سلام بالتوراة الحقيقية قبل أن تُحرف، حيث علم منها أن هذه الأسئلة لا يعلم الإجابة عنها إلا نبي حق، فسأل النبي ﷺ عن أول العلامات الكبرى ليوم القيامة الدالة على اقتراب وقوعها، وعن أول طعام يأكله أهل الجنة حين يدخلونها، وما الذي يجعل الولد يشبه أباه؟ وما الذي يجعله يشبه أخواله؟

فأعلمه النبي ﷺ أن جبريل عليه السلام قد أخبره بإجابة هذه الأسئلة قبل ذلك، فقال له عبد الله بن سلام: جبريل ذاك عدو اليهود من الملائكة؛ وهذا من الأشياء الواهية التي كانوا يتعللون

بها لعدم إيمانهم، وزعموا أنه ينزل بالحرب والقتال، وهل كان جبريل عليه السلام إلا مأمورا من عند رب العالمين؟!

وأجابه النبي ﷺ عن أسئلته، فبين أن أول أشراط الساعة وعلاماتها الكبرى: نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وهذا هو الحشر الأول قبل قيام الساعة، تسلط النار على الناس فيهربون منها، ثم يموتون، ثم يحشرون إلى المحشر.

ثم أخبره النبي ﷺ أن أول طعام يأكله أهل الجنة بعد دخولها: هو زيادة كبد الحوت، وهي القطعة المنفردة المتعلقة بالكبد، وهي أطيبها، وهي أهنأ الأطعمة.

وأما الشبه في الولد فأخبره ﷺ أن الرجل إذا جامع المرأة، فسبقها ماؤه؛ كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها ولأخواله؛ وذلك أن لكل من الرجل والمرأة ماء مختلفا في الصفات والخصائص، فإذا سبق أحدهما غلبت صفاته وخصائصه، فجاء منه الشبه، فلما سمع ذلك عبد الله بن سلام رضي الله عنه، شهد بأن النبي ﷺ رسول الله حقًّا، ونبي الله صدقًا.

ثم قال للنبي ﷺ: إن اليهود قوم بُهْت، كذابون مُمارون لا يرجعون إلى الحق، إن علموا بإسلامه قبل أن يسألهم عنه النبي ﷺ، كذبوا عليه ووصفوه بما ليس فيه، فلما جاءت اليهود إلى رسول الله ﷺ، دخل عبد الله بن سلام رضي الله عنه البيت حتى لا يروه، فسألهم رسول الله ﷺ: أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ وما مكانته عندكم من حيث العلم والمنزلة؟ فقالوا مادحين: هو أعلمنا وابن أعلمنا، وأخيرنا وابن أخيرنا!

فقال رسول الله ﷺ: أفرأيتم -أخبروني- إن أسلم عبد الله؛ فهل تُسلمون؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله من البيت إليهم، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله!

وعلى الفور غيّروا كلامهم فيه وبدلوا رأيهم إلى عكس ما ذكروا! فقالوا ذامّين: هو شرُّنا وابن شرِّنا، ووقعوا فيه بأن قالوا فيه ما ليس من صفاته كذبًا وزورًا، ألا قاتل الله اليهود!

إن اليهود هم اليهود في كل عصر وفي كل زمان لا يتبعون الحق ولا يعدلون، يزيفون الحقائق وينشرون الأكاذيب ويفترون على غيرهم بما ليس فيهم، ورغم أن الله تعالى حذر المسلمين منهم في آية واضحة لا تحتاج التأويل قال فيها:

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ ﴾ [المائدة: ٨٢]

فما زال بعض المسلمين يأمنون لهم ويوادّونهم ويعقِدون السلام معهم، وكأنهم لا يعلمون أنهم قوم لا عهد ولا ميثاق لهم وأنهم أشد الناس جشعًا وطمعًا وشحًّا وبخلًا وأنهم نقضوا عهودهم مع الأنبياء، فهل يلتزمون بعهودهم مع غيرهم من البشر وقد قال الله فيهم

﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ ﴾ [البقرة: ١٠٠] ؟!

إن العدل والاعتراف بالحق هما أساس قيام السلام بين الأفراد والمجتمعات سواء كان السلام النفسي للأفراد أو سلامة المجتمع ككل، فلا سلام بغير عدل ولا إقامة الحق.

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾

(النحل:٩٠)

ومن المهارات التي نستلهمها من أسماء الله (المقسط والحكيم والرشيد) وصفة العدل لله تعالى:

١-**مهارة الوعي العاطفي**: وتدور حول استشعار مشاعر الآخرين وإدراك مراكز القوى من حولنا، من يريد فرض نفوذه، ومن هو مسالم، ومن يقبل النقد والحوار، وتشمل قراءة الموقف والتصرف بما يناسب كل موقف على حدة.

٢-**مهارة إدارة الخلاف:** وبها عدة سلوكيات منها إجادة التعامل مع الأشخاص الذين يصعب التعامل معهم، والذين يُسمون بالشخصيات الصعبة، واستشعار الخلافات التي يُحتمل وقوعها والاحتياط منها، وأيضا تشجيع الحوار والمناظرة حتى نصل إلى الحقيقة ونتعلم قواعدها، وأيضًا محاولة الإبداع والتفكير في حلول جديدة ليست ظاهرة تُرضي أطراف الخلاف.

٣-**مهارة الاستفادة من التنوع:** وتشمل احترام الاخرين ذوي الأفكار المختلفة وفهم تنوع الأفكار، فدعم الحق لا يعني بالضرورة أن تصارع وتشد أسلحتك على من يخالفونك في الرأي.

وإن ما نراه اليوم من عبث في مواقع التواصل الاجتماعي والفضائيات بين مختلفي الرأي في الدين والسياسة وحتى في الرياضة هو مشكلة أخلاقية بكل المقاييس، فما يبدأ حوار ما حتى ينطلق السباب والجدل وتبادل الاتهامات، وأحيانا يصل الخلاف إلى حد المضاربة؛ لأن كلا الطرفين لا يبحثان عن الحق، ولكن يبحثان عن تأكيد صحة ما يقولان والانتصار الشخصي لأفكارهما.

بيد أن من يمتلك مهارة الاستفادة من التنوع يمكنه السيطرة على مشاعر الغضب وتقبُّل وجهة نظر الآخر في الأمور الحياتية التي تتعدد فيها الآراء، ولا يغضب على كل شيء دون تحكم في المشاعر، ولكن الغضب يكون محمودًا ومطلوبًا عند انتهاك حقوقنا والمساس بمقدساتنا وعند اغتصاب أراضينا؛ لأن مشاعر الغضب حينها هي التي تقودنا لاتّخاذ موقف قوي وجاد.

ولقد ثبت في السيرة أن النبي ﷺ كان يغضب على بني قريضة، بل يدعو عليهم، ولكنه ما سب أحدًا قط، فقول الحق لا يعني البذاءة، ولا يعني الانحطاط بالألفاظ والأخلاق.

فلقد أمر الله سيدنا موسى وهارون أن يقولا لفرعون قولًا لينًا، فرعون الذي ادعى أنه الإله، فرعون الذي قتل الأطفال، الذي قطع أفئدة الأمهات حزنا على أولادهن، ورغم ذلك يأمرهما الله بالرفق واللين معه، قال تعالى:

﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝٤٤ ﴾ (طه: ٤٣-٤٤)

إن اسم الله (المُقسِط) الذي يقتضي الحكمة والعدل يلهمنا التفكير بعقلانية وموضوعية، والتحكم في المشاعر والأهواء قبل الحكم على الأفكار والأشخاص والمواقف وقبل إبداء الرأي في قضية ما أو موضوع ما.



أحبك ربي لأنك عفُوٌّ

لا يكتفي ربي بأن يغفر لمن يتوب
بل تكرمًا منه فإنه يعفو عمّن يشاء
والعفو أبلغ من المغفرة وأعظم منزلة
فالمغفرة قبول للتوبة دون محو الذنوب
أما العفو فهو قبول التوبة ومحو الذنوب
والإعفاء من السؤال عن تلك الذنوب
يوم لا ينفع مال ولا بنون
إلا من أتى الله بقلب سليم
وعندما يعفو سبحانه يمحو الذنوب
ويرضى عمّن قام بها
ثم يعطيه مِن فيض عطائه الذي لا ينضب أبدا.

فكيف لا أحبه؟!
وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

ولأنه عفُوّ

يمنحنا الفرصة تلو الأخرى لكي نتوب إليه

حتى يعفو عنا برحمته وكرمه

فكل يوم جديد هو فرصة من الله للتوبة

وكل ليلة فرصة، وكل جمعة فرصة

وكل رمضان فرصة، وكل ليلة قدر فرصة

وكل عمرة فرصة، وكل حج فرصة

والعاقل منا من أدرك تلك الفرص أو إحداها؛

لكي ينال عفو الله ورضاه.

فقد أمرنا النبي ﷺ إذا أدركنا ليلة القدر أن نقول:

" اللهم إنك عفُوّ تحب العفو فاعف عنا "

فهو عفوٌّ، ويحب العفو سبحانه

فكيف لا أحبه؟!

وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

ولأنه عفُوّ

يرحم المذنب منا ويُنسيه ذنبه

حتى لا يجلد ذاته به من حين لآخر

وحتى لا يُعكر عليه صفو حياته

عَن أبِي طويلٍ شَطَبٍ المَمدودِ رضيَ اللّهُ تعالى عنهُ أنَّهُ أتى النَّبيَّ ﷺ فقالَ: أرأيتَ مَن عمل الذنوبَ كلَّها ولم يتركْ منها شيئًا؟!

وهو في ذلك لم يترك حاجةً ولا داجةً إلا أتاها،

فهل لذلك من توبةٍ؟

قال: فهل أسلمتَ؟

قال: أما أنا فأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ، وأنك رسولُ اللهِ

قال: تفعل الخيراتِ، وتترك السيئاتِ،

فيجعلهنَّ اللهُ لك خيراتٍ كلَّهنَّ.

قال: وغَدَراتي وفَجَراتي؟

قال: نعم، قال: اللهُ أكبرُ، فما زال يُكبِّرُ حتى تَوارَى.

سبحانه يغفر كل ذنوبنا مهما عظُمت

فكيف لا أحبه؟!

وكيف لا يطمئن قلبي به؟!

أثر معرفة الله العَفُوّ في حياتنا

إن الله تعالى عَفُوٌّ يحب العفْو عن عباده فيمحو ذنوبهم؛ ليبدأوا حياتهم من جديد دون تأسُّف على ذنب فعلوه ينغّص عليهم صفوهم ويعيقهم عن استكمال حياتهم، فالله سبحانه وتعالى عندما يعفو عنك هو يخبرك أنك تستطيع أن تبدأ من جديد وأن تصحح مسار نفسك وانكساراتها وأن تنقذها من اليأس والتشاؤم والعودة بها طاهرة نقية، وأن تعطيها فرصة جديدة مع بداية جديدة، لتُحييَ فيها الأمل ولا يسيطر عليها الندم ولا يعيقها عن استكمال طموحها في الحياة.

نستلهم من اسم الله (العفُوّ) أن علينا أن نجعل الاستغفار والتوبة نهجًا دائمًا في حياتنا نتوب ونستغفر الله كل يوم وكل ليلة قبل النوم، نحاسب أنفسنا قبل أن نُحاسَب في يوم جلل عظيم أمام الملك العظيم الجبار، فهذا يجدد التوبة ويجدد إيماننا ونتخلص به من ثقل الذنوب على كواهلنا للانطلاق بدَفعة أمل جديدة وحياة جديدة خالية من حرج الذنب وألم التجربة النفسية المريرة.

فسبحانه اعتنى بكل جوانب حياتنا وجعل لنا نظاما كاملًا يجعل حياتنا تزدهر وقت الطاعة، ويستعيدنا من هاوية المعصية عند الضلال.

قال تعالى:

﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧ ﴾ (النساء:٢٧)

هو سبحانه الذي يريد أن يتوب علينا، أمّا دعاة الفساد فلا يريدون بك الخير، فإذا أخطأت أو أذنبت شجعوك على المعصية والذنوب لتزداد إثما وبُعدًا عن الحق، ولكن الله يريد أن يردّك إليه وإلى طريقه المستقيم الذي سار عليه المهتدون مِن قبلنا، قال تعالى:

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٦ ﴾ (النساء: ٢٦)

إن الله العفوّ الذي يريد أن يتوب علينا، سهّل لنا طريق التوبة والعودة إليه وبدْء صفحة جديدة معه فقال:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ ﴾ (آل عمران:١٣٥)

فبين سبحانه لنا شروط التوبة وهي الاستغفار والإقلاع عن الذنب وعدم الإصرار على الذنب، هذا إذا كانت الذنوب في حق الله، أما إذا كانت في حق العباد فيجب أن نعيد الحقوق إلى أهلها بالإضافة لما سبق من الاستغفار والإقلاع عن الذنب وعدم الإصرار عليه.

قال تعالى:

﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩ ﴾ (المائدة:٣٩)

إن الله سبحانه وتعالى هو خالقنا، ويعلم ضعفنا ويعرف أن الشهوات تغلبنا أحيانًا، وأن المعاصي قد تسيطر علينا أحيانًا، خُلقنا هكذا ضعفاء وهو يريد سبحانه أن يخفف عنا حمل المعصية فشرع لنا التوبة لكي نبدأ من جديد، فهو يحب لنا أن نتجدد وأن نتوب إليه، سبحانه القائل:

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾

(النساء:٢٨)

إن ديننا دين تفعيل لا دين تكبيل، فالله سبحانه وتعالى أعطانا آليات لتجديد الذات والنهوض مرة أخرى من عثرات الحياة عن طريق التوبة والرجوع إليه.

قال سبحانه:

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (التوبة:١٠٤)

العفو عن الناس

قال أنس بن مالك رضي الله عنه:

كنَّا يومًا جلوسًا عند رسولِ اللهِ ﷺ، فقال: يطلُعُ عليكم الآن من هذا الفجِّ رجلٌ من أهلِ الجنَّةِ، قال أنس: فطلع رجلٌ من الأنصارِ ينفضُ لحيتَه من وضوئِه، قد علَّق نعلَيْه في يدِه الشِّمالِ، فسلَّم. فلمَّا كان الغدُ، قال ﷺ مثلَ ذلك، فطلع ذلك الرَّجلُ. وقاله في اليومِ الثَّالثِ، فطلع ذلك الرَّجلُ.

فلمَّا قام النَّبيُّ ﷺ، تبِعه عبدُ اللهِ بنُ عمرِو بنِ العاصِ، فقال له: إنِّي لاحَيْتُ أبي، فأقسمتُ ألَّا أدخُلَ عليه ثلاثًا. فإن رأيتَ أن تُؤوِيَني إليك حتى تمضيَ الثَّلاثُ فعلت. فقال: نعم. فبات عنده ثلاثَ ليالٍ، فلم يرَه يقومُ من اللَّيلِ شيئًا، غيرَ أنَّه إذا انقلب على فراشِه ذكر اللهَ تعالَى، ولم يقُمْ حتى يقومَ إلى صلاةِ الفجرِ.

قال: غيرَ أنِّي ما سمِعتُه يقولُ إلَّا خيرا. فلمَّا مضت الثَّلاثُ، وكِدتُ أن أحتقِرَ عملَه، قلتُ: يا عبدَ اللهِ، لم يكُنْ بيني وبين والدي غضَبٌ ولا هِجرةٌ، ولكنِّي سمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ كذا وكذا، فأردتُ أن أعرِفَ عملَك، فلم أرَكَ تعملُ عملًا كثيرًا. فما الَّذي بلغ بك ذلك؟ فقال ما هو إلَّا ما رأيتَ.

فلمَّا ولَّيتُ دعاني فقال: ما هو إلَّا ما رأيتَ، غيرَ أنِّي لا أجدُ على أحدٍ من المسلمين في نفسي غِشًّا ولا حسَدًا على خيرٍ أعطاه اللهُ إيَّاه.

قال عبدُ اللهِ: فقلتُ له هي الَّتي بلغت بك، وهي الَّتي لا نُطيقُ.

إن الله العفُوّ يحب منا أن نعفو وأن نصفح عن الناس، وأن نطهر قلوبنا من الحقد والغل والحسد، وجعل ثواب ذلك الجنة، فقط لمن صفّى قلبه وحسُنت دواخله ونواياه تجاه الآخرين، فلكي تكون من أهل الجنة كما أخبر النبي لا تحتاج كثير عبادة ولا كثير علم، فقط تحتاج أن تنام دون أن تحمل في داخلك غلًّا أو حسدًا أو حقدًا على أحد.

قال تعالى:

﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (النور:٢٢)

فمن يعفو ويصفح ينال مغفرة الله ورحمته ورضاه وجنته.

إن العفو عن الناس يُريح النفس من تذكر الإساءة من حين لآخر، ويسمح للمخطئ بمسامحة نفسه؛ فالعفو يجعلك تشعر بالسلام الداخلي ويصفّي قلبك من الحقد والضغينة، ويرزقك

مغفرة الله ورحمته، وهو لا يعني بالضرورة عودة العلاقات لسابق عهدها.

وكذلك طلب العفو من الناس يجعلنا نجدد ذواتنا من خلال إرجاع الحقوق إلى أهلها، لأن حق من ظلمناهم وأخطأنا في حقهم لا يغفره الله لنا عند التوبة إليه، ولكن يعفو عن ذنوبنا في حقه هو سبحانه.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله:

" إن الظلم لا يُمحَى إلا بالخروج لأصحاب الحقوق لاستحلالهم منها، ويعني هذا رد الحقوق وطلب العفو ممن ظلمتَ "

فبادر بطلب العفو ممن أسأتَ إليهم واطلب الصفح ولا تنتظر حتى يأتيك الموت لتفكر في إساءاتك للناس، فالاعتذار لن يقلل من قيمتك ولا من كرامتك، ولا تقتصر طلب العفو على كلمات الاعتذار، ولكن ينبغي أن تعالج ما تسببت به من ألم وإيذاء نفسي لمن أخطأت في حقهم وإصلاح الإساءة إذا استطعت.

إن الله سبحانه وتعالى وعدنا بالعفو والمغفرة وقبول التوبة، ولكن المؤمن الحق يجب ألّا يغتر بمغفرة الله وعفوه فيستهين بعقوبة الله، وألا يتخذ مغفرة الله سُلما لارتكاب المعاصي؛ لأن الله

يتوب عليه بعد كل مرة يعصيه فيها، فلا تغتر بمغفرة الله لأنك قد تعصي أملًا في التوبة لاحقًا، ولا يسعفك أجلك لكي تتوب، أو تركن إلى أنك مسلم وسوف يعاملك الله معاملة خاصة؛ فكما أن الله غفور رحيم فإن عذابه لأليم، قال سبحانه:

﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الحجر:٤٩-٥٠)

فمغفرة الله هي دعوة منه للتوبة والعمل الصالح وعدم اليأس، وليست دعوة للتشجيع على معصيته وانتهاك محارمه.

مهارة التقييم الدقيق للنفس

إحدى مهارات الذكاء العاطفي التي نستلهمها من اسم الله (العفو) مهارة التقييم الدقيق للنفس التي يقصد بها وعي الفرد بمشاعره وفهمها، وتمييزها عن بعضها، ومعرفة تأثيرها على تصرفاته وحالته الشعورية والنفسية، وطريقة تعامله مع الآخرين، بهدف مراقبتها وملاحظتها.

فكل سلوك نقوم به وراءه مشاعر، وكل مشاعر نشعر بها وراءها أفكار وقناعات راسخة في عقولنا، وإذا فهم كل منا نفسه ومشاعره سيستطيع أن يقيم نفسه بدقة، ولن يسمح للغرور والعناد أن يمنعه من الاعتراف بعيوبه وأخطائه حتى يمكنه تطوير نفسه للأفضل.

لا تكن من أولئك الذين لا يرون أخطاءهم ويظنون أنهم دومًا على صواب، ولا حتى يقبلون النصيحة مثلهم كمثل أصحاب هذه الآية الكريمة:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ (البقرة:٢٠٦)

ذهب سيدنا موسى بصحبة أخيه هارون إلى فرعون وطلبا منه أن يطلق صراح بني إسرائيل ويرسلهم معهم وقالا:

﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾

(الشعراء: ١٦-١٧)

فأراد فرعون أن يتلاعب بمشاعر سيدنا موسى ويقيده بأغلال الذنب القديم ويذكّره بفضله عليه فقال له:

﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

(الشعراء:١٩و٢٠)

فلم يتأثر سيدنا موسى عليه السلام ولم تقلَّ ثقته بنفسه، بل رد معترفًا بذنبه لأنه لم يقصد قتْل الرجل، بل أراد أن يضربه فقط،

﴿ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الشعراء:٢٠و٢١)

ووضح في ثقة سبب هروبه لأنهم قوم ظالمون لن يحاسبوه بعقوبة القتل الخطأ ولكن سيقتلونه وكأنه تعمد قتل الرجل.

لقد اعترف سيدنا موسى بخطئه وذنبه، وكان هذا سببا لقوته وثقته بنفسه أثناء حواره مع فرعون، فعوّدْ نفسك على الاعترف بأخطائك لأن هذا سيجعلك أقوى أمام نفسك قبل الآخرين.

واستغفر الله دائما واطلب العفو منه؛ لتجدد حياتك وتجدد صحيفتك وتمحو منها الذنوب، ثم ركّزْ على أهدافك ولا تسمح لأحد أن يجعلك تركز على الذنوب التي فعلتها وقد استغفرت الله وتُبت عنها، ولا تسمح لأحد أن يسيطر عليك ولا أن يخرجك من رحمة الله مهما فعلت من ذنوب ومعاصٍ؛ فالله تعالى يغفر الذنوب جميعا.

قال سبحانه:

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾

(الزمر:٥٣)

إن اسم الله (العفو) يدعونا أن نتحلل من كل ذنوبنا ونجدد عهدنا مع الله ونجدد ذواتنا، ونستلهم منه أيضًا أن نجدد حياتنا كلها من العبثية واللا مبالاة والعيش على الهامش، ونعيش حياة هادفة جادة منتجة مفيدة ومثمرة.

قال سيدنا عمر بن الخطاب ﵁:

"إني أكره الرجل يمشي سبهللا، لا في أمر الدنيا، ولا في أمر الآخرة".

وهذا هو الخسران أن تعيش بلا أهداف وبلا أثر، لا تسعى لتحقيق أهداف دنياوية، ولا تسعى لتحقيق أهداف دينية، فتعيش عمرك سبهللا، أي فارغًا، كما قال سيدنا عمر بن الخطاب ﵁.

فاملأْ روحك بالحياة دون يأس، فما دمت تتنفس فهناك أمل في فرصة جديدة وبداية جديدة وتوبة جديدة.

ومن مهارات الذكاء الاجتماعي التي نستلهمها أيضًا من اسم الله (العفو) الذي لا يتوقف غفرانه مهما تكرر الذنب، مهارة التفاؤل والقدرة على التغيير؛ فالله سبحانه وتعالى يكرر العفو والتوبة، ولا يمل منا سبحانه حتى لو مللنا نحن من تكرار طلب التوبة مصداقًا لقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام البخارى:

"يا أيُّها النَّاسُ، خُذُوا مِنَ الأعْمَالِ ما تُطِيقُونَ؛ فإنَّ اللَّهَ لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا، وإنَّ أحَبَّ الأعْمَالِ إلى اللَّهِ ما دَامَ وإنْ قَلَّ "

ومهارة التفاؤل تعني أن الإنسان يُصر على تحقيق الأهداف رغم العقبات والصعوبات والمعوقات، أن يبادر وكله أمل بالنجاح، وأن يستبدل التفاؤل بالنجاح بالخوف من الإخفاق.

ونستلهم من اسم الله (العفو) مهارة التحكم بالنفس، فالعفو والصفح يحتاجان لقدرة عالية على التحكم بالنفس حتى نعفو عمّن أخطأ في حقنا أو ظلمَنا يومًا ما.

تخيل حجم الألم الذي سببه إخوة سيدنا يوسف له:
ألم خيانة الأخوة
ألم فقدان الأهل والحرمان من دفء الأسرة
ألم الذل عند بيعه كعبد وهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم
ألم رميه في السجن
فكم كان مقدار التحكم في النفس الذي يحتاجه سيدنا يوسف حتى يقول لإخوته بعد كل هذا الألم الذي تسببوا فيه:
﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (يوسف:٩٢)

على المؤمن ألا يحبس نفسه في سجن الماضي مهما أخطأ وأذنب؛ فالله غفور ورحيم وتواب وعفو، يغفر الذنوب جميعًا إلا الشرك به سبحانه، وعليه ألا يلوم نفسه أو الآخرين على الماضي وما حدث فيه، بل يطوي الصفحة ويجدد ذاته ويمضي إلى تحقيق أهدافه في الحياة وأن يستفيد بكل ما لديه من مهارات وإمكانات ونقاط قُوى بدلا من التحسر على ما ليس لديه.

يقول سيجموند فرويد:

إن عُقَد الطفولة تُخزَّن في منطقة مظلمة في الذاكرة فتجلس عشرات السنين وتصبح جزءًا أصيلًا من الشخصية. وأفضل طريقة لعلاجها هو منعها عن طريق التربية الصحيحة من الأساس، أو إذا وُجدت تلك العقد واكتُشفت لاحقًا، فعلينا الاعتراف بها وعدم الخجل من التحدث عن أي مشكلة واجهتنا في مرحلة الطفولة لأن كشف ما بداخلنا والتحدث عنه هو شيء أساسي عند التعامل مع عقد الطفولة.

وعلينا أن نُعوّد أبناءنا على التحدث عن كل ما يشعرون به وكل المواقف التي مروا بها حتى لا ينجُم عن كتم مشاعرهم وعواطفهم عقد نفسية تعيش معهم طوال العمر.

إن صفة العفو عند الله تحدثك عن بدايات جديدة وعن تغيير المسار والتوجه نحو اتجاه جديد أفضل، والتوقف عن الشعور بالذنب والخزي الذي يدمر سلوك الإنسان وتوازنه وسلامه النفسي.

بَيْدَ أن القليل من الشعور بالذنب مفيد؛ لكي يكون دافعًا للتغيير، ولكن الكثير منه يُكبل الإنسان ويشل حركته ويُعيقه عن التقدم.

فإذا أردت العفو والمغفرة لنفسك اعفُ واصفح عن غيرك، وأكثِرْ من الاستغفار فإن فيه الرزق من كل خير، قال تعالى:

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ (نوح:١٢،١١،١٠)

فإذا شعرت أن قلبك لم يعد عامرًا بالإيمان وأنك في غفلة عن ربك
وأنك لا تشعر بالقرب منه سبحانه
فأكثِرْ من الاستغفار والدعاء بالهداية؛ فوحده الهادي إلى سبيله، فقط ابذلْ جُهدك وتقرّبْ إليه، ستجده يتقرب إليك وسيغفر لك ما أذنبت.

قال سبحانه:
﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (القصص:٥٦)

وقالَ اللَّهُ تبارَكَ وتعالى في الحديث القدسي:
" يابنَ آدمَ، إنَّكَ ما دعوتَني ورجوتَني غفَرتُ لَكَ على ما كانَ فيكَ ولا أبالي،
يابنَ آدمَ، لو بلغت ذنوبُكَ عَنانَ السَّماءِ ثمَّ استغفرتَني غفرتُ لَكَ، ولا أبالي،
يابنَ آدمَ، إنَّكَ لو أتيتَني بقرابِ الأرضِ خطايا ثمَّ لقيتَني لا تشرِكُ بي شيئًا لأتيتُكَ بقرابِها مغفرةً "

إن الله العفو كما منحنا فرصة تجديد صحيفتنا عنده في الآخرة يلهمنا بعفوه تجديد حياتنا في الدنيا، فلدينا دومًا فرصة ثانية لكي نبدأ من جديد ونطور أنفسنا ونحسن من حياتنا لنعيشها بطريقة أفضل.
إن كل يوم جديد تستيقظ فيه هو فرصة جديدة من الله لتكون النسخة الأفضل من نفسك فلا تضيع تلك الفرصة.

إن الجسد لَتتجددُ خلاياه كل يوم دون وعي منا ولا عناء، ولكن أرواحنا لكي تتجدد تحتاج جهدًا منا، تحتاج أن نجعلها متصلة دومًا بمصدرها سبحانه، فجددْ حياتك وأعِد اكتشافها بالقرب من الله سبحانه وتعالى عن طريق التعرف عليه من خلال أسمائه وصفاته سبحانه.

وهو معكم أينما كنتم

إن الله العفوّ لم يجعل بيننا وبينه وسيطا يطلُب لنا منه العفو سبحانه
ولم يحدد لنا مكانا معيّنا لقبول التوبة ولا وقتا معينا لطلبها
ولكنه سبحانه وتعالى قريب ومعنا أينما كنا:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾

(البقرة: ١٨٦)

فسارع إليه الآن، ولا تنتظر وقتا معينا لتتوب إليه، ولا مكانا معينا لتتوب إليه، فهو معك أينما كنت، في بيتك وفي عملك وفي حريتك وفي سجنك، هو معك بين الناس وفي خلوتك، وستجده حين يرحل عنك الجميع، لحظة تحتاجه ستجده قريبًا منك سبحانه.

قريب ربي من العابدين والذاكرين والشاكرين والتائبين والمستغفرين، قريب قُربًا يُؤنسهم ويحفظهم ويُسدد رميهم ويجيب دعاءهم، فلا تحرم نفسك متعة هذا القرب، ولا تتوقف عن الدعاء حتى وإن تأخرت الإجابة، فالله تعالى يحب العبد اللحوح في الدعاء.

جاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال:
" يُسْتَجابُ لأحَدِكُمْ ما لَمْ يَعْجَلْ، يقولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي"

فداوم على الدعاء والاستغفار والأذكار؛ لأنها تحفظك وتجعلك على اتصال دائم بالله خاصة الأذكار الموظفة، وهي الأذكار المقيدة بزمان ومكان أو حال، كأذكار ما بعد الاسيقاظ وما قبل النوم وعند الوضوء وبعد الصلاة وبعد الأذان وعند السفر وعند الغضب، فتجد نفسك في حالة من الذكر والاتصال بالله على مدار يومك فتسكن سرائرك ويطمئن قلبك.

وخير الأدعية هو ما ورد في القرآن الكريم وعلى لسان رسولنا الكريم ﷺ ومنها:

- اللَّهُمَّ أنْتَ رَبِّي لا إلَهَ إلَّا أنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا على عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما صَنَعْتُ، أبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لكَ بذَنْبِي فاغْفِرْ لِي؛ فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنْتَ.
- ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ۝٢٦ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ۝٢٧ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ۝٢٨ ﴾ [طه: ٢٥-٢٨].
- اللَّهمَّ إنَّكَ عفوٌّ تحبُّ العفوَ فاعفُ عنِّي.

● رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

● اللَّهمَّ إنِّي أسأَلُكَ مِن الخيرِ كلِّه عاجلِه وآجلِه، ما علِمْتُ منه وما لَمْ أعلَمْ، وأعوذُ بكَ مِن الشَّرِّ كلِّه عاجلِه وآجلِه ما علِمْتُ منه وما لَمْ أعلَمْ، اللَّهمَّ إنِّي أسأَلُكَ مِن الخيرِ ما سأَلكَ عبدُك ونَبيُّكَ، وأعوذُ بكَ مِن الشَّرِّ ما عاذ به عبدُك ونَبيُّكَ، وأسأَلُكَ الجنَّةَ وما قرَّب إليها مِن قولٍ وعمَلٍ، وأعوذُ بكَ مِن النَّارِ وما قرَّب إليها مِن قولٍ وعمَلٍ، وأسأَلُكَ أنْ تجعَلَ كلَّ قضاءٍ قضَيْتَه لي خيرًا.

● اللَّهُمَّ أصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيرٍ، وَاجْعَلِ المَوتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

● اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَالهَرمِ وَعَذَابِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَولاهَا، اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجَابُ لَهَا.

● رَبَّنا آتِنا مِن لَدُنكَ رَحمَةً، وَهَيِّئ لَنا مِن أَمرِنا رَشَدًا.

● رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ.

● اللَّهُمَّ أصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيرٍ، وَاجْعَلِ المَوتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

● اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى.

● اللَّهمَّ اهدِني فيمن هديت، وعافِني فيمن عافيتَ، وتولَّني فيمن تولَّيتَ، وبارِك لي فيما أعطيتَ، وقني شرَّ ما قضيتَ، إنَّكَ تقضي ولا يُقضَى عليْكَ، وإنَّهُ لا يَذِلُّ من واليتَ، ولا يَعِزُّ من عاديتَ، تبارَكتَ ربَّنا وتعاليتَ.

● اللَّهُمَّ اكْفِني بحلالِك عن حرامِك، وأغْنِني بفَضْلِك عمَّن سِواك.

● ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠ ﴾ [الحشر: ١٠].

● ﴿ رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠ ﴾ [الإسراء: ٨٠].

● ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا

مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

● ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٤].

● ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

● ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٥]

● رَبِّ اغْفِرْ لي خَطِيئَتي وجَهْلِي، وإسْرَافِي في أمْرِي كُلِّهِ، وما أنْتَ أعْلَمُ به مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي خَطَايَايَ وعَمْدِي وجَهْلِي وهَزْلِي، وكُلُّ ذلكَ عِندِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ما قَدَّمْتُ وما أخَّرْتُ، وما أسْرَرْتُ وما أعْلَنْتُ، أنْتَ المُقَدِّمُ وأَنْتَ المُؤَخِّرُ، وأَنْتَ على كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ.

● ربي إنِّي قد مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

● أَعُوذُ بكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِن كُلِّ شيطَانٍ وهَامَّةٍ، ومِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ

- اللَّهمَّ إنِّي عبدُكَ، وابنُ عبدِكَ، وابنُ أمتِكَ، ناصِيتي بيدِكَ، ماضٍ فيَّ حُكمُكَ، عدلٌ فيَّ قضاؤُكَ، أسألُكَ بِكُلِّ اسمٍ هوَ لَكَ، سمَّيتَ بهِ نفسَكَ، أو أنزلتَهُ في كتابِكَ، أو علَّمتَهُ أحدًا مِن خلقِكَ، أوِ استأثَرتَ بهِ في عِلمِ الغَيبِ عندَكَ، أن تَجعلَ القرآنَ ربيعَ قَلبي، ونورَ صَدري، وجلاءَ حُزْني، وذَهابَ هَمِّي.

حرصت أن أختار لكم بعض الأدعية الجامعة التي تجمع من الخير الكثيرَ، وتنفع وتصلح لكل الناس، ولكن لكل منا مطالبه الخاصة من ربه الكريم الذي يعطي بغير حساب، وعليه أن يدعو بها ويداوم على الدعاء؛ فالله يحب العبد اللحوح في الدعاء، ونسأله تعالى أن يتقبل منا ومنكم الدعاء وصالح الأعمال وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل وأن يرزقنا حسن الخاتمة.



ما قبل الخِتام

أحبك ربي على اختياري لأدخل تحت مظلة ندائك: يا عبادي.

أحبك ربي على اختياري أن أولد مسلمًا لأسرة وسطية التدين من غير حول مني ولا قوة.

أحبك ربي؛ فوحدك مهما أخطأت ومهما أذنبت، دومًا بابك لي مفتوح.

أحبك ربي، وكلما ازددت علمًا بك ازددت حبًّا لك، فاللهم ارزقني حبك وحب من يحبك وحب كل عملٍ يقربني إلى حبك.

أحبك ربي، وأحمدك أن يسرت وأذِنت لي أن أكتب عنك وعن صفاتك، فلا شيء يحدث في هذا الكون إلا بإذنك وبإرادتك.

خـــــاتمة

أخيرًا فإني أسأل الله تعالى أن أكون قد وُفّقتُ لكي أُعرّفك أكثر على الله سبحانه وتعالى، وساعدتُك أن تقترب منه ولو خطوة واحدة، وأن يكون حبه قد لامس شغاف قلبك خلال قراءتك للكتاب لتزداد به يقينًا، وليطمئن قلبك به سبحانه وتعالى.

ولعلك تسأل: لِمَ لَمْ أتحدث عن جميع أسماء الله الحسنى؟

والجواب هو أن بعض أسماء الله سبحانه وتعالى متقاربة المعنى، وتدور في فلك واحد حول معنى واحد مثل أسماء: الملك والمهيمن ومالك الملك والقدوس والواحد والأحد والصمد وذو الجلال والإكرام؛ فكلها أسماء تدور في فلك أن الله سبحانه ذو سلطان على كل شيء، وأسماء مثل: المقسط والحكم والحكيم والرشيد والحق جميعها تدور في فلك أن الله سبحانه ذو عدل في حكمه، وأسماء مثل: الرزاق والوهاب والفتاح والغني والمغني والمقيت جميعها تدور في فلك أن الله هو الرزاق لكل شيء، لذا اقتصرت على الحديث عن بعض الأسماء والصفات التي تساعدنا على التعرف على الله وعلى حكمته في الابتلاءات التي نواجهها في هذه الحياة وأشرت إلى بعض آخر لنزداد من الخير، ولأننا نرجو أن نكون من الذين آمنوا فقال الله عنهم:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [البقرة: ١٦٥]

ولكي يسري علينا قوله: ﴿ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فيجب أن نتصف بصفات جماله عز وجل، فالمحب لمن يحب مطيع، والمحبوب يُحب أن يتصف مُحبُّه بصفاته؛ لذا تحدثنا باستفاضة عن أثر معرفة أسماء الله وصفاته على حياتنا، وكيف نتصف بها ونتفاعل معها ونستلهم منها معاني وأفكارًا ومهارات تساعدنا للعيش بتوازن في المشاعر، وتوازن في العلاقات، وبالتالي نشعر بسلام داخلي.

وهذا الكتاب ما هو إلا اجتهاد المقصر وجُهد المقل، وما كان فيه من توفيق فمن الله، وما كان من خطأ أو زلل أو نسيان فمني ومن الشيطان.

وفي النهاية أرجو أن تكون لامست حروفي قلبك، وقرّبتك من الله ولو قليلًا، وإذا شعرت أن هذا الكتاب نافع فانصح به غيرك فلعله يكون علمًا ينتفع به، والدال على الخير كفاعله، ولا تنسَني من صالح دعائك.

نبـذة عن الكاتب

- مؤلف كتاب " خذها بقوة؛ فالحياة لا تعطي الضعفاء "
- مؤلف كتاب " عشها بسعادة؛ فلم يخلقنا الله لنشقى "
- مهندس مدني حاصل على بكالوريوس الهندسة من جامعة عين شمس عام ٢٠٠٤ م.
- حاصل على شهادة مدير مشروع محترف من معهد إدارة المشاريـع الأمريكي عام ٢٠١٦ م.
- يعمل حاليًّا مدير إنشاءات بإحدى شركات مجموعة الراجحي القابضة بالمملكة العربية السعودية.
- شارك في تنفيذ العديد من المشاريـع العملاقة منها:
    - مشروع إعادة توطين أهالي القرنة بمدينة الأقصر.
    - توسعة ميناء جدة الإسلامي.
    - الأعمال المدنية لمشروع قطار الحرمين السريـع.
    - إسكان أعضاء هيئة التدريس بجامعة الملك عبد العزيز.
    - مشروع إنشاء أبراج أكوا رافال بارتفاع ٢٥٠ متر على كورنيش مدينة جدة.
- بالإضافة إلى أنه صاحب شركة بداية لتجارة المواد الغذائية بالقاهرة، وشريك في عدة مشاريـع أخرى.
- هوايات الكاتب: القراءة والتأليف وكتابة الشعر .

يمكنكم متابعة الكاتب عبر قنوات التواصل الاجتماعي:

Facebook Page: Hossam Abdel Aziz - حسام عبد العزيز

https://www.facebook.com/Hossam-Abdel-Aziz--حسام-عبد-العزيز-١٠٠٣٢٤٦٩٥٠٩٥٨٧٥

Facebook account: Hossam Abdel Aziz

https://www.facebook.com/hossamcivil/

Instagram: Hossam Abdel Aziz, @hossam_abdelaziz_1

TikTok:Hossam Abdel Aziz, @hossam_abdelaziz_1

Twitter: Hossam Abdel Aziz, @hossam_aziz_1

Snapchat :Hossam Abdel Aziz, hossamaziz_1

Youtube Chanel : Hossam Abdel aziz حسام عبد العزيز

*****

المراجع:

- موقع الدرر السنية للتأكد من صحة الأحاديث النبوية.
- موسوعة أسماء الله الحسنى للدكتور محمد راتب النابلسي.
- كتاب (هنيئًا لمن عرف ربه) للدكتور خالد أبو شادي.
- كتاب (طريقك للسعادة بالأسماء الحسنى) للدكتورة ياسمين يوسف.
- كتاب (باسمك نحيا) للدكتور عمرو خالد.
- كتاب (فن الكلام) للدكتور إيهاب فكري.
- كتاب (لأنك الله) الجزء الأول للدكتور علي الفيفي.
- كتاب (لأنك الله) الجزء الثاني للدكتور علي الفيفي.
- كتاب (مختصر فقه الأسماء الحسنى) للدكتور عبد الرزاق البدر.
- موقع موضوع.

https://mawdoo3.com

فهرس

المقدمة ٧

أُحِبُّك ربي.. لأنك رحيم ١١

رحمة الله في الحروب والكوارث ٢٢

أثر معرفة الله الرحيم في حياتنا........................ ٣٥

مهارة التعاطف.. ٤٤

أحبُّك ربي؛ لأنك لطيف ٤٩

أثر معرفة الله اللطيف في حياتنا ٥٨

أحبك ربي.. لأنك ودود ٦٥

أثر معرفة الله الودود في حياتنا........................ ٧٤

أحبك ربي لأنك شكور............................. ٧٩

أثر معرفة الله الشكور في حياتنا........................ ٩١

ثقافة الذوق ٩٢

الفرق بين السلوك والعادة والطبع...................... ٩٤

مهارة الامتنان ٩٨

أحبك ربي لأنك الرزاق ١٠١

أثر معرفة الله الرزاق في حياتنا............................ ١٠٦

ليس كل الرزق مالًا.. ١١١

مهارة العطاء ١١٧

الرضا بما قسمه الله... ١٢١

هرم ماسلوا لاحتياجات الإنسان Maslow's hierarchy of needs... ١٢٥

أحبك ربي.. لأنك الملك ١٢٩

أثر معرفة الله الملِك في حياتنا............................ ١٣٩

الشجاعة والثقة بالنفس..................................... ١٥٠

أحبك ربي لأنك المُقسِط ١٥٧

أثر معرفة الله المُقسِط في حياتنا ١٦٥

ليس كل من يعرف الحق يعترف به......................... ١٧٨

أحبك ربي لأنك عَفُوٌّ ١٨٥

أثر معرفة الله العَفُوّ في حياتنا ١٨٨

العفو عن الناس.. ١٩٢

مهارة التقييم الدقيق للنفس................................. ١٩٦

وهو معكم أينما كنتم... ٢٠٤

ما قبل الخِتام ٢١٠
خـاتمة ٢١١
نبذة عن الكاتب ٢١٣
المراجع: ٢١٥